قصر الطوبه:
شاهد حي على سقوط دولة بني أمية

أحمد لاش

The excavations and survey works in this project have revealed the location of some quarries which were used for the limestones production, to construct the lower courses of Tuba Palace as well as the places of mud bricks and mortar preparation, in addition to identify the location of some late Umayyad isolated houses. Most of the archaeological evidences in Tuba Palace (pottery dating and architectural studies) were leading us to date the monument to the late Umayyad period. In addition to few pottery scattered in the area dated to the late Byzantine and early Umayyad period.

According to the deep study of the social and political Umayyad history (especially in Transjordan) in addition to comparison study between Qasr Tuba and the incomplete late Umayyad structure in the Jordanian desert like Qasr Al-Mushatta and 'Ayn Al-Sawda reservoir (in southern Azraq) and by focusing on the Caliph Walid II history 743-744 A.D

I believe that Qasr Tuba related to Caliph Waleed II era 743-744 A.D. and he decided to built it because of nostalgia feeling to this desert, which he lived in when he was still stalker prince in the Caliph Hisham era. But as a result of his death in 744 A.D. and the Umayyad dynasty collapsing five years later that, this huge monument was not completed.

مقدمة

بداية أود أن أتقدم بجزيل الشكر لدائرة الآثار العامة ممثلة بمديرها العام في ذلك الوقت الدكتور المرحوم فواز الخريشة الذي أتاح لي فرصة القيام بأعمال المسح والتنقيب في قصر طوبة الأثري، وكذلك للإخوة العمَال الذين تعاونوا معي طيلة مدة العمل، حيث أقمنا خلالها مخيمنا بجانب القصر لمدة ٨٣ يوماً. كما أشكر الزميل قتيبة الدسوقي لقيامه باعداد المخططات والرسومات الخاصة بالمشروع. ولا أنسى شكر الدكتور رافع الحراحشة لما قدمه لي من دعم ومشورة وكذلك الدكتور أديب أبو اشميس الذي لم يبخل عليّ بأي مشورة أومساعدة خلال فترة العمل وقيامه بتأريخ الفخار المكتشف في الموقع، لهم مني جميعاً جزيل الشكر والإمتنان. وأود أن يعذرني القاريء الكريم على الاسهاب في بعض التفاصيل والوصف المعماري وذلك لندرة الكتابات والدراسات التي تناولت قصر الطوبة من حيث القياسات والأبعاد، مما قد يسهل على أي باحث في المستقبل الاستفادة منها.

يعتبر العمل في موقع قصر الطوبه من الفرص الثمينة والتي ساعدني حسن حظي لأكون ممن أتيحت لهم هذه الفرصة، لما يشكله العمل في هذا الموقع من أهمية تاريخية وأثرية، لما يتميز به هذا القصر من طرز البناء غير الشائعة في الأردن، ويشاركه قصر المشتّى في هذه الصفة، فقد بني في قلب الصحراء الأردنية من الطوب المشوي على أساسات من الحجر الجيري بعقود برميلية، ليشكل ميزة إضافية لطراز العمارة الأموية في آخر أيامها، حيث شكلت البادية الأردنية موئلاً لأمرائهم وخلفائهم، احتضنتهم في أوقات الرخاء والشدة، فعشقوها وفتنوا بجمالها، وطيبة أهلها وإكرامهم لمن نزل أرضهم، فلم يخونوا ويغدروا من عاهدهم حتى آخر لحظات عهدهم. ومن أبرز الخلفاء الأمويين الذين ارتبط اسمهم بهذه البادية وبوادي الغدف والأزرق تحديداً، الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والذي شكلت سيرته لغزاً لما احتوته من روايات متضاربة ليس من السهل تميز وجه الصواب فيها أو الخطأ، وما حقيقة شخصيته؟

الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الخليفة اللغز

لا نستطيع الحديث عن التاريخ الأموي في الأردن دون الحديث عن الصحراء الأردنية والقصور الصحراوية، والتي كان لها نصيب وافر من حياة خلفاء بني أمية وأمرائهم وخصوصاً الخليفة يزيد بن عبد الملك وإبنه الوليد، والذي يعتبر من أكثر الخلفاء الأمويين الذين اقترن اسمهم بمناطق الصحراء الأردنية وبالأخص منطقة الأزرق ووادي الغدف. وبدون إدراك أوشعور تجد نفسك تنجذب لشخصية الوليد بن يزيد، هذا الأمير الأموي الذي بدأ حياته في صغره أميراً مدللاً ومترفاً، وفي

شـبابه محاربـاً مبعداً عن عمه الخليفة هشـام بن عبد الملـك، وفي خلافته التي لم تتجاوز السـنة وثلاث شـهور محاصراً ومقتولاً ويطاف برأسـه في شـوارع دمشـق، بعد أن قتل بأيدي أبناء عمه من المروانيين، وغدر به أقرباؤه من السفيانيين.

وبمـا أن التاريخ يكتب بعد فترة من حدوثه، وبمـا أن تاريخ الخلفاء يدخـل فـي التاريـخ السياسـي، والـذي بالعـادة يكتبـه المنتصـر، وحيث أن نظـرة النـاس إلـى الخلفاء والحـكام لا تتعـدى إحدى إثنـين؛ إما ملاك أوشـيطان، فقـد كانـت الرغبة فـي معرفـة الشـخصية الحقيقيـة للأمير والخليفـة الوليد بن يزيد بـن عبد الملك من الأمور الصعبة. فكتّاب التاريخ في النهاية هم من البشـر، وكلٌ له ميوله وهواه، ومن سوء حظ الوليد بن يزيـد أن كثيراً مـن كتاب التاريخ الذين أشـاروا إليه لـم يكونوا محايدين وموضوعيـين عنـد الحديث عنه، لما لهـم من أهواء تتعـارض مع أن يذكر الوليـد بصفات حسـنة، وبذلك تكون شـهادتهم فيه مجروحـة. فقد نعت الوليـد بن يزيـد في كتاباتهم بالفسـق والفجور والإلحـاد وإدمان الخمر والإستخفاف بأوامر الله، وتم تصويره على أنه خالٍ من أي حسنة. مثال على ذلك الكتّاب العباسـيون كالجاحظ في رسـالته الأموية والتي جارى فيها العباسيين في سخطهم وبغضـهم لبني أمية، ومن الرواة التاريخيين مـن كان مـن اليمنية والذيـن يكنّون كرهاً كبيـراً للوليد، وهـم من القبائل التـي خرجت عليه وشـاركت فـي قتله، إنتقامـاً منه لقتلـه زعيمهم (خالد بـن عبد الله القسـري)، فمعظـم رواة اليمنية وعلماؤهـم من طي وهمدان والأزرد، ركـزوا علـى الصفات السـلبية على الإشـارة إلى في شـخصية الوليـد وعملـوا علـى تهويلهـا. كذلك فعـل رواة الشـيعة مثل المسـعودي والذهبـي وابـن شـاكر، الذيـن ركـزوا علـى أخبار الوليـد اللاهيـة. وابن عساكر من الرواة المتأخرين الذين أخذوا الأخبار كما هي ولم يتحقق من الـرواة ولا السـند، واهتم الطبري بنقل الرواية كما هـي غير مهتم بمتنها ومكتفياً بقوة السند. لكن هذا لا يمنع من وجود رواة معتدلين مثل خليفة بن خيـاط والبلاذري الذين ركزوا على الأحداث السياسـية والعسـكرية فـي حياة الوليـد، وغزواته وأعماله والعمـال والموظفين في عهده، وكذلك المشـاريع التي قام بها خلال خلافته، وسـردوا السيرة الذاتية والرسمية لـه دون تحيز إلى جانـب دون الآخر، فكانت رواية الخيـاط من الروايات المعتدلة دون تحيز أوتخريب.(عطوان١٨٩١).

ومـن أهـم الكتـاب الحديثـين الذيـن اهتمـوا بحيـاة الوليد بـن يزيد، الدكتور حسـين عطوان في كتابه "الوليد بـن يزيد عرض ونقد" وهومن الأعمـال المهمـة التـي بحثت في سـيرة الوليـد، والتي أفدت منهـا في هذا البحث فائدةً جمّة.

فقـد ولد الوليد بن يزيد سـنة ٩٠ هجريـة، وأوصـى له أبوه بالخلافة من بعد عمه هشـام بن عبد الملك وهوابن إحدى عشـرة سـنة، ومات أبوه وهوابـن خمس عشـرة سـنة (الطبـري ٧: ٢٠٩)، ليخلفه عمه هشـام بن عبـد الملك، والذي كان يعتبر نفسـه أحق بالخلافـة من عمر بن عبد العزيز (الطبـري ٦: ٥٥١، عطوان ١٩٨١: ٣٨١)، ومـن أخيه يزيد بن عبد الملك، فكان يرغب في عزل الوليد من ولاية العهد ليولي ابنه مسـلمة بن هشـام من بعده (الطبري٧: ٢٠٩)، ولكن هذا لم يكن بالأمر السـهل لما للوليد من بيعـة فـي عنقه وفي أعنـاق الناس، فـكان من مصلحته أن تسـوء صورة الوليـد فـي أعين العامة، وتشـيع أخبار فسـقه ومجونه بـين الناس، حتى

يتقبلوا مسـألة خلعه. فانتشـرت الأخبار التي تصفـه بالمجون والبعد عن الديـن بين الناس، حتى يذكر الطبري أن هشـام قد ولّاه الحج سـنة ١١٩ هجريـه (الطبـري٧: ٢٠٩)، فحمل معه الكلاب فـي صناديق، وحمل معه قبـة عملها على قـدر الكعبة ليضعها على الكعبة ويجلس فيها، وحمل معه خمـراً. وفـي نفـس المصـدر يذكر الطبري أن هشـام قـد ولاّ ابنه مسـلمة والمكنـى أبا شـاكر على الحج سـنة ١١٩ هجرية (الطبـري٧: ٢١٠). من الملاحظ أن في هذه الرواية مبالغة وتصرف من غير المنطقي أن يصدر من أمير له قدر من العلم والثقافة والمعرفة السياسية. في حين يشير المدائني أن هشـام ولاّ الوليد على الحج سـنة ١١٦ هجريـة، ويذكر عنه البلاذري "أن الوليد انتدب عيسـى بن مقسم ليصلي بالناس" فيما ينفي ابن خياط ذلـك ويؤكد أن الوليد هوالـذي أقام الحج، وأن ابن يقظـان وهوأحد رواة اليمنيـة ومـن غلاة الشـيعة هوالـذي ذكـر أن الوليد قد انتدب عيسـى بن مقسـم ليصلي بالنـاس (عطـوان ١٩٨١: ٢٩٥). وهذا مثال بسـيط على تضارب الروايات التاريخية حول شخصية الوليد في حادثة واحدة.

ومـن الإنصـاف عندمـا نتحـدث عـن الوليد أن نعاملـه كإنسـان فيه من الحسـنات كما فيه من السيئات مراعين النشـأة التي نشأ فيها والظروف التي مرت عليه والتي كان لها الأثر الكبير في تكوين شـخصيته وما نتج عنه من أفعال.

فقـد ولـد الوليد أميراً من أمراء بني أمية، فأبـوه الخليفة يزيد بن عبد الملك، وأمه زينب بنت محمد بن يوسـف، أخوالحجاج بن يوسـف الثقفي، وقـد عـرف عن أبـوه حبـه للهووالغنـاء، وذكـر شـغفه بسـلاّمه وحبابه جاريتيـه (الأغانـي ٤: ٢٤٨)، أما أمه فقد كانت ثالـث زوجات أبيه، وكان الوليـد إبنهـا البكـر، وقد شـغفت به لمـا كان يتميز به من حسـن الصورة وجمـال المظهر، فقد وصف الوليد بأنه كان ربعة القد، أبيض اللون، قوي البنيـة، منفرداً في وسـامته، حتـى أقنعت أبيه أن يجعلـه نائبه الثاني بعد هشـام، مقدمـاً إياه على أخيه الأكبر عبدالله، مـن زوجته الأولى (الأغاني ٥: ١٢٤، عطوان ١٩٨١: ٣٣) .

وبهذا نشـأ الوليد حياة الدلال والترف كأقرانه من أمراء بني مروان في ذلك الوقت، وقد مات أبوه وهوابن خمس عشـرة سـنة، وهوما نعرفه بسـن المراهقة، وما يشـكله هذا السـن بالنسـبة لأمير ثري امتـاز بجمال المظهـر والفروسـية والقـوة البدنيـة وولعه باللهووحبه لسـماع الشـعر وقوله. وقد اشـتهر بحبه العذري لسلمى بنت سعيد بن خالد، وقد رفض أبوها أن يزوجها له عندما كان ولياً للعهد "ربما بأمر من هشام" (عطوان ١٩٨١: ٧٣) فهام بها حباً وتناقلت الناس أشعاره بها، حتى أنه يذكر في أحد أشعاره أنه تخفى بزي بائع زيت حتى يتمكن من مشاهدتها (الأغاني ٧:٢٩)، ولـم يتزوجها حتى أصبح خليفة، ولم تطل عنده إلا فترة وجيزة حتـى مرضـت وماتـت فحزن عليهـا حزنـاً شـديداً ورثاها فـي كثير من قصائده (الأغاني ٧: ٣١، عطوان ١٩٨١: ٨٦).

وكما أشـرنا سـابقا فإن هشـام كان راغباً في تولية إبنه مسـلمة من بعـده بدلاً من الوليـد، فكان من مصلحته أن يظهـر الوليد بصورة الماجن البعيد عن الدين (عطوان ١٩٨١: ٢٩٤)، وعمل على ترسيخ هذه الصورة فـي أذهـان النـاس، فـازداد الخـلاف بين الوليـد وعمـه هشـام، واحتدم الصدام بينهما، وكان الوليد مناكفاً لعمه هشـام، معتداً بنفسـه، فلم يقبل أن يعزل نفسـه أوأن يعقد لمسـلمة بن هشام من بعده (الطبري ٧: ٢٠٩)،

معتمداً على شرعيته لما لـه من بيعه في أعناق النـاس وما له من دعم من عمه مسلمة بـن عبد الملك، وظل على هذا الحـال حتى وفاة عمه مسلمة بـن عبد الملك، والذي يذكر بعض المؤرخين أنها كانت سـنة ١٢٠ هجرية (خليفـة بـن خيـاط ٢: ٥١٩) والبعض الآخـر يذكر أنها كانت سـنة ١٢١ هجرية (البداية والنهاية ٩: ٣٢٩)، فأحس الوليد بأنه قد فقد سنداً مهماً، وخشـي من بطش عمه هشـام بـه، وأن يتآمر على قتلـه (الأغاني ٧: ٦٤، عطوان ١٩٨١: ٣١٣)، فقرر الخروج إلى البادية، حيث يجمع المؤرخون على أنه نزل في الأزرق، فيورد الطبري "أن الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدف".(أنساب الأشراف٢:٣١٢، الطبري ٧: ٢١١، عطوان ١٩٨١: ٣١٤).

كمـا ورد أنـه نزل في منطقـة زيزياء، حيث يذكر الطبـري "أنه كان يطعـم مـن صـدر من الحـج بمنـزل يقـال له زيزيـاء ثـلاث أيـام ويعلف دوابهم" (الطبري ٧: ٢١٧).

وخـلال فترة وجـود الوليد في الباديـة الأردنية اشـتد الخلاف بينه وبين عمه هشـام، حتى قطع هشـام عنـه وعن أعوانه ما لهـم من أعطيات (الطبري٧: ٢١١)، وطلـب منـه أن يرسـل إليـه مؤدبـه (عبـد الصمد بن الأعلى) وعندما أرسـله له عذبه حتى مات (أنسـاب الأشـراف ٢: ٣١٢ ، عطـوان١٩٨١: ٣١٦)، فأصبـح الوليد في ضائقة ماليـة وصعبة حياته، ولـم يقبـل أن يخلع نفسـه إلى أن مات هشـام سـنة ١٢٥ هجرية وتولى هوالخلافة من بعده.

وعندمـا تولـى الخلافة قـام بالإنتقام مـن كل من حاربوه وشـجعوا هشام على خلعه.

وإن كانـت فتـرة خلافتـه قصيـرة، فقـد ذكر عنـه أعمـالاً تصب في صالحـه، فيذكـر أنه "أجرى على زمني أهل الشـام وعميانهم وكسـاهم، وأمـر لكل واحـد منهم بخادم، وأخـرج لعيالات الناس الطيب والكسـوة، وزاد الناس جميعاً في العطاء ١٠، وزاد أهل الشـام بعد زيادة العشـرات عشرة عشرة، وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف، ولم يقل في شيء يسأله لا" (الطبري ٧: ٢١٧).

كما تألف أهل مكة والمدينة وأرضاهم، وأعاد لهم ارزاقهم وحقوقهم المدنية التي سلبها إياهم هشام.

وقام ببناء بعض المنشـآت المائية بالشـام، للنهوض بالزراعة وزيادة رقعة الأراضي الزراعية، وأقام جسر الوليد وشيّد مشروع أسيس المائي (الحموي ١: ٢٧٢، عطوان ١٩٨١: ٣٦٣).

كما قام بمحاربة الذين يدعون إلى القدرية، كما غزى جزيرة قبرص وخيّر أهلهـا من اختار جوار المسـلمين فيرحـل إليهم، ومـن اختار جوار الـروم فيرحل إليهـم، فاختارت طائفة جوار المسـلمين، وأخـرى اختارت جوار الروم (الطبري ٧: ٢٢٧).

وقد اشتهر عنه مبالغته في ترفه واهتمامه في نفسه ومظهره وثيابه خـلال فترة خلافته (الطبري ٧: ٢٣١)، وكأنه أراد أن يعوّض نفسـه عما لحق به من كدر العيش أثناء حياة التبدي التي عاشـها نتيجة الضغوطات التي مارسها عليه عمه هشام.

وقـد اسـتغل الطامعـون فـي الحكم من أمـراء بني أميه ما رسـخ في أذهـان الناس من صورة الوليد الماجن اللاهي، الفاسـق البعيد عن الدين. فـكان أن انقسـم البيت الأمـوي بين أمراء صغـار رغبوا في خلـع الوليد، وازاحتـه عن الحكم، إمـا انتقاماً لما نـكل بهم، كأبناء عمه هشـام، أوأمراء مغامريـن رأوا أحقيتهـم بالحكم مـن الوليد، ومن هؤلاء الأمـراء يزيد بن الوليـد بـن عبد الملـك واخوانـه بسـر ومسـرور وعمـر وروح وابراهيم، وكذلك عاصم وعبدالله ابنا عمر بن عبد العزيز، بالإضافة إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وأمراء آخرون.

والقسـم الآخر من أمراء البيت المرواني هم الأمراء الكبار، الذين رأوا في خلـع الوليد بداية لنهاية حكم بني أمية وتنازعهم على الحكم وضياع دولتهـم، ومنهم العباس بن الوليد بن عبد الملك ومبشـر بن الوليد بن عبد الملـك ومروان بن محمد بن الحكم وسـعيد بن عبـد الملك بن مروان ويزيد بن سليمان بن عبد الملك ومروان بن عبدالله بن عبد الملك (عطوان ١٩٨١: ٤٠١–٤٠٣).

وكان مـن أشـد الأمـراء خطراً علـى الوليد، ابـن عمه يزيد بـن الوليد بـن عبد الملـك والمعروف بيزيد الناقـص "لأنه أنقص النـاس الزيادة التي زادهم إياها الوليد" (الطبري ٧: ٢٦١)، حيث عرف عنه الدهاء والمراوغة وأظهار التنسـك والزهد، في حين يصفه البعض بأنه كان قدرياً (الطبري ٧: ٢٩٨).

وقد سعى هؤلاء الأمراء بزعامة يزيد بن الوليد على تأليب الناس على الوليد، واسـتفادوا من سـخط القبائل اليمنية عليه بعد قتله زعيمهم خالد بـن عبدالله القسـري (الطبري ٧: ٢٣٧)، واسـتغلوا خروجه من دمشـق وخـروج الكثير من الأمراء منها نتيجة لتفشـي وباء الطاعون باحثين عن السـلامة في مناطق البادية، فزحفوا إلى دمشـق بزعامة يزيد بن الوليد، والذي استولى على مسجدها وعلى بيت المال (الطبري ٧: ٢٤١)، ونادى بنفسه خليفة للمسلمين وألّف من حوله الناس.

فجاء الخبر إلى الوليد وهوبالأغدف (الطبري ٧: ٢٤٣) فأشـار عليه بعـض مـن حوله بالتوجه إلـى حصن البخراء، والذي يقـال أنه من أعمال تدمر(الطبري ٧: ٢٤٤)، فسـيّر إليه اليزيد جيشـاً بقيـادة عبد العزيز بن الحجـاج بـن عبد الملـك، ونادى بالنـاس من يخـرج إلى الفاسـق وله ألف درهـم فالتـف حوله أقل مـن ألف رجل، ثم نـادى بالناس مـن ينتدب إلى الفاسـق وله ألف وخمسمائة فانتدب إليه ألف وخمسمائة رجل (الطبري ٧: ٢٤٣)، ومـن ثـم زحف جيش عبد العزيز بـن الحجاج بن عبد الملك إلى الوليـد فـي البخراء، وممـا زاد فـي صعوبة موقـف الوليد، خيانـة قادته العسـكرين له عند وصول جيش عبد العزيز له، فقد خانه الوليد بن خالد وانضـم لجيـش عبـد العزيز مقابل خمسـة آلاف دينار ومثلهـا للأبرش (الطبـري ٧: ٢٤٩)، كمـا انقلب عليـه معاوية بن أبي سـفيان بن يزيد بن خالـد مقابل عشـرين ألف دينـار وأن يولوه الأردن ويشـركوه في الأمر (الطبري ٧: ٢٥٠).

ومن أشهر ما دار بينه وبين خصومه من حوار في آخر لحظات حياته وهومحاصـر في حصن البخراء، أنه نادى فيهم "أما فيكم رجل شـريف له حسـب وحياء أكلمه فقال له يزيد بن عنبسـه السكسـكي، كلمني، فقال لـه: مـن أنت؟ قال: أنا يزيد بن عنبسـه. قال: يا أخا السكاسـك ألم أزد في أعطياتكـم؟ ألم أرفع المـؤن عنكم؟ ألم أعطي فقراءكم؟ ألـم أخدم زمناكم؟ فقـال: إننا لم ننقم عليك من أنفسـنا، ولكن ننقم عليك من انتهاك ما حرم الله، وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله. قال:

حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت، وإن فيما أحل لي لسعة مما ذكرت" (الطبري ٧: ٢٤٦). وكأن الوليد استهجن واستعظم هذه التهم التي يرمونه بها.

وفي رواية أخرى أنه قال "لعمري أغرقت وأكثرت، أما والله لا يرتق فتقكم ولا يلم شملكم ولا تجتمع كلمتكم" (الطبري ٧: ٢٤٧).

ثم رجع إلى الدار وأخذ مصحفاً وقال: يوم كيوم عثمان. وأخذ يقرأ. فتسلقوا عليه الدار، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسه السكسكي، ولم يرضى الوليد أن يشهر سيفه عندما طلب من السكسكي ذلك، وقال له "لوأردت لكانت لي ولك حالة فيهم غير هذه" . فنزل من الحائط عشرة، منهم السرّي بن زياد بن أبي كبشه وعبد السلام اللخمي، فضربه عبدالسلام على رأسه، وضربه السرّي على وجهه، واحتز أبوعلاقه القضاعي رأسه (الطبري٧: ٢٤٦)، كما قاموا بقطع كفه اليسرى، وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد جعل في رأسه مئة ألف (الطبري ٧: ٢٥٠)، فأرسلوها إليه، وقيل أن كفه سبقت رأسه.

كما تم التمثيل بجثته بعد قتله، فعلق رأسه أمام المسجد بعد صلاة الجمعة، ثم وضعت على رمح وطيف بها في شوارع دمشق (الطبري ٧: ٢٥١).

وهكذا قتل الوليد بن يزيد بعد أن حكم مدة سنه وثلاث أشهر وفي بعض الروايات سنة وشهرين و٢٢ يوم، وكان ذلك يوم الخميس لليلتين بقيتا من جماد الآخرة سنة ١٢٦ للهجرة الموافق ١٧ نيسان ٧٤٤ ميلادية (الطبري ٧: ٢٥٢)، بطريقة أقل ما يقال عنها إنها بشعة، ولا تمت لأخلاقيات الإسلام بصلة من تشويه وتمثيل، ولم يعلم الذين ساروا في خلعه، أنهم يخلعون حكم بني أمية ويقوضون أركانه.

فهل قتل الوليد مظلوماً؟ وهل كان فاسقاً ماجناً؟ مستخفاً بالدين كما اتهمه أعداؤه؟ وهل كل ما ألحق به من أخبار هي صحيحة؟

بالنسبة لي يوجد الكثير من عدم الإطمئنان لهذه الأخبار. فمعظم الرواة التاريخيون كتبوا عن الوليد ولم يعاصروه، وقد كان للكثيرين مصلحة في أن يبدوالوليد بهذه الصورة، فعمه هشام أراد الخلافة لإبنه مسلمة من بعده (الطبري ٧: ٢٠٩)، وكذلك الأمر بالنسبة لأبناء عمه هشام الذين أرادوا الإنتقام منه على ما فعل بهم أثناء خلافته، ويزيد بن الوليد أراد الحكم لنفسه، فأراد على أن يظهر بمظهر الأمير الورع الذي خرج على الخليفة الفاسق، والقبائل اليمنية أرادت خلعه إنتقاماً منه لقتله زعيمهم خالد بن عبد الله القسري. أما التاريخ السياسي لبني أمية فقد كتب في فترة بني العباس، والذين كان من مصلحتهم أن يبدوخلفاء بني أمية بهذه الصورة، حتى يعطوا الشرعية لحكمهم، فوجدوا في سيرة الوليد مادة خصبة لإعلامهم الموجه، ولمن أراد أن يتزلفهم من الكتّاب، وكذلك الأمر بالنسبة للرواة من الشيعة والخوارج من الصفّرية والإباضية.

وقد يكون الوليد قد طبع على عيشة اللهومتمتعاً بما له من مزايا الأمير الأموي، وابن الخليفة، وولي عهد عمه، وما به من صفات الجمال والشباب والقوة والفروسية وولعه بالصيد، وحبه سماع الشعر وقوله. وقد تكون هذه الظروف قد جعلت الوليد يزيد في لهوه عن أقرانه من الأمراء، ولكن أن يصل به اللهووالمجون إلى هذا الحد الأسطوري الذي رواه خصومه عنه، فهوأمر يدعوإلى الشك. حتى أن الخليفة العباسي المهدي، عندما ذكر عنده أن الوليد كان فاسقاً زنديقاً قال: "إن خلافة الله عنده أجلُّ من أن يجعلها في زنديق" (ابن كثير ٩: ١٠).

وروي عن أم الدرداء أنها قالت فيه "قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين العراق والشام مظلوماً، لم يزل طاعة مستخف بها ودم مسفوك على وجه الأرض بغير حق" (ابن كثير ٩: ١٠)

وكأن لعنة قتل الوليد قد رافقت الأمويين وكأن نبؤته لما سيصير حالهم بعد مقتله قد صدقت إذ لم يدم حكم بني أمية بعد مقتل الوليد أكثر من خمس سنوات من الاضطراب، تعاقب فيها ثلاث خلفاء على الحكم. فقد مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك بعد مقتل الوليد بخمسة أشهر، إثر إصابته بمرض الطاعون، وجاء من بعده أخوه ابراهيم والذي لم يطل به الأمر حتى خلع نفسه وتنازل عن الحكم بعد خروج مروان بن محمد عليه، والذي لم يطل حكمه حتى سقطت دولته ودولة بني أمية على يد العباسين سنة ١٣٠ للهجرة.

ولقد كان لمقتل الوليد بن يزيد انعكاساته السلبية على بيت الخلافة وعلى الدولة، فقد تفسّخت الأسرة الأموية وتناحر أبناؤها للفوز بالحكم، واستفحل الخصام بين رأس الدولة وأمصارها، فقد خرج أهل حمص على يزيد بن الوليد، وكذلك فعل أهل الأردن وفلسطين (الطبري ٧: ٢٦٢)، كما خرجت أرمينيا وأذربيجان والجزيرة بزعامة مروان بن محمد على حكم يزيد بن الوليد وأخوه إبراهيم من بعده (الطبري ٧: ٢٨١).

كما اشتعلت العصبية القبلية بين المضرية من تميم وقيس واليمنية والربعية في الشام والعراق والحجاز واليمن وخراسان.

وقد استغلت الجماعات المعارضه مثل الشيعة والعباسيين والزبيريين والخوارج من الصفّرية والإباضيه في العراق واليمن والمغرب هذه الظروف، وأصبحت الفرصة مواتية للعباسيين، فوثبوا على دولة بني أمية وأخذوا الحكم منهم، وقاموا بتصفية أمرائهم (عطوان ١٩٨١).

وبهذا كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بمثابة حجر الزاوية الذي انهارت دولة بني أمية بإزالته.

وقد تكون الأعمال المعمارية التي تنسب إلى الوليد بن يزيد في البادية الأردنية، مثل قصر المشتّى وقصر الطوبه وبركة عين السودا في الازرق، مثال على مشاريع أراد الوليد القيام بها في فترة خلافته، ولم يمهله القدر على إكمالها، فتوقف العمل في هذه المشاريع مع توقف حياته وهوفي ريعان الشباب (إذ لم يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين سنة)، ولم يتسع الوقت لمن جاء بعده من خلفاء بني أمية لإتمام هذه الأعمال نظراً لانشغالهم بقتال بعضهم، لتصبح أطلالاً تشهد على توقف العمران الذي بدأه الأمويين بمقتل الوليد بن يزيد.

وأغلب الظن أن الوليد قد شرع في هذه الأعمال خلال فترة توليه للخلافة، وليس عندما كان أميراً متبدياً في الصحراء، لما تحتاجه إقامة هذه المشاريع من أموال طائلة، بعكس ما كان يعانيه من ضائقة مالية في تلك الفترة، وخاصة بعد قطع عمه هشام الأعطيات عنه عندما كان أميراً، فمن المرجّح أن قصير عمره قد تم بناؤه عندما كان متواجداً في المنطقة في الفترة التي كان ما يزال فيها أميراً، وبالنسبه لما يرد ذكره عن الوليد بأنه تواجد في أكثر من منطقة في تلك الفترة مثل الغدف، فمن المحتمل أنه كان يستعمل الخيام أوبيوت الشعر كعادة أهل البادية، أما عندما أصبح

خليفة فمن المحتمل أنه أراد أن يقيم في هذه المناطق مباني تتناسب مع مكانته الجديدة وكأنه أراد أن يقوم بهذه المشاريع لما سكن في قلبه من ألفه وعشق لهذه المناطق، عندما كان متبدياً فيها، فظل يحن إليها، وأراد أن يكون له فيها أماكن يتردد عليها كلما ناداه الشوق لهذه البادية.

وبالنظر إلى المواقع الأثرية التي تعود إلى الفترة الأموية في منطقة الأزرق نلاحظ وجود قصير عمره، والذي يبعد عن الأزرق مسافة ٣٠كم، ويقع في وادي البطم، وينسب إلى الوليد بن يزيد. كما يوجد موقع عين السل، إلى الشمال من قلعة الأزرق على بعد ٢كم تقريبا، والذي يبدوأنه أقرب ما يكون إلى مبنى ضمن أرض زراعية، يتم في أحد أجزائه عصر الزيتون لاستخراج الزيت، وقد يكون لهذا المبنى بدايات تعود للفترة الرومانية المتأخرة والبيزنطية، ومن ثم أعيد استخدامه في الفترة الأموية، وهو بحاجة إلى مزيد من أعمال التنقيب والدراسة لاستيفاء المعلومات عنه، ولا نستطيع في الوقت الحالي أن نحكم إذا ما كان قد استعمل من قبل الوليد بن يزيد أم لا.

كما وجدت في قلعة الأزرق أثناء أعمال التنقيب كسر فخارية تدل على أن القلعة قد شهدت نوعاً من أشكال الاستيطان في الفترة الأموية، ولكن لا نستطيع أن نجزم إذا كان الوليد قد استقر بها أم لا. أما فيما يعرف حالياً بالأزرق الجنوبي، فيوجد فيه بقايا بركة مائية ضخمة تقدر مساحتها حوالي ٤٥ دونم، عثر في جزء من جدارها الشرقي على حجارة منحوتة بأشكال هندسية عليها نحوتات نباتات وحيوانات، يرجّح الدكتور غازي بيشه أنها تعود إلى الفترة الأموية (بيشة ١٩٨٣: ٧-١٤)، وهذا ما يذهب إليه (كلود فيبر) أيضاً. ويوجد على طرف هذه البركة امتداد لبقايا جدار يمتد بشكل طولي حول المسطحات المائية ليصل طوله الظاهر إلى ٥كم تقريباً، وكأنه بقايا لمشروع مائي ضخم ربما لم يكتب له الإكتمال، وقد ورد في بعض المصادر أن الوليد بن يزيد في إحدى المرات في آخر أيام خلافته وفي إحدى مجالسه، كان قد همس في أذن أحد أعوانه، فلما سئل فيما كانا يتحدثان، قيل إنه كان يسأله عن النهر الذي حفره في الأردن، كم بقي منه (الطبري ٧: ٢٤٨).

والتي قد تكون اشارة ضمنية لهذه البركة.

أعمال المسح والتنقيب في قصر طوبه الأثري

تم اختيار موقع قصر طوبه الأثري للقيام بمشروع يشتمل على أعمال المسح الأثري للقصر ومحيطه، والتنقيب الأثري في مناطق مختارة ضمن منطقة المسح، وكذلك توثيق المظاهر المعمارية لما تبقى من أجزاء القصر، عن طريق الرسم والرفع المساحي وعمل المخططات الكنتورية. وقد استمر المشروع ٨٣ مدة يوما من تاريخ ١٨/٨ ولغاية ٢٠٠٩/١١/٩.

بناءً على خطة العمل الموضوعة لهذا المشروع فقد بدأنا أعمال المسح الأثري للموقع والمنطقة المحيطة به اعتبارا من ١٨/٨ وقد بلغت منطقة المسح ٧كم² وعرض ٣كم²، وذلك بهدف توثيق كافة المظاهر المعمارية ضمن هذه المنطقة ومعرفة مصدر المواد الأولية اللازمة لبناء القصر (من تراب لعمل الطوب والحجر والجير ومصادر المياه ومناطق صناعة هذه المواد) بالإضافة إلى توثيق المظاهر المعمارية في القصر، وقد تم تحديد خمسة مناطق خلال هذا المسح، احتوت كل منطقة بدورها على عدد من النقاط.

<u>المنطقة الأولى</u>

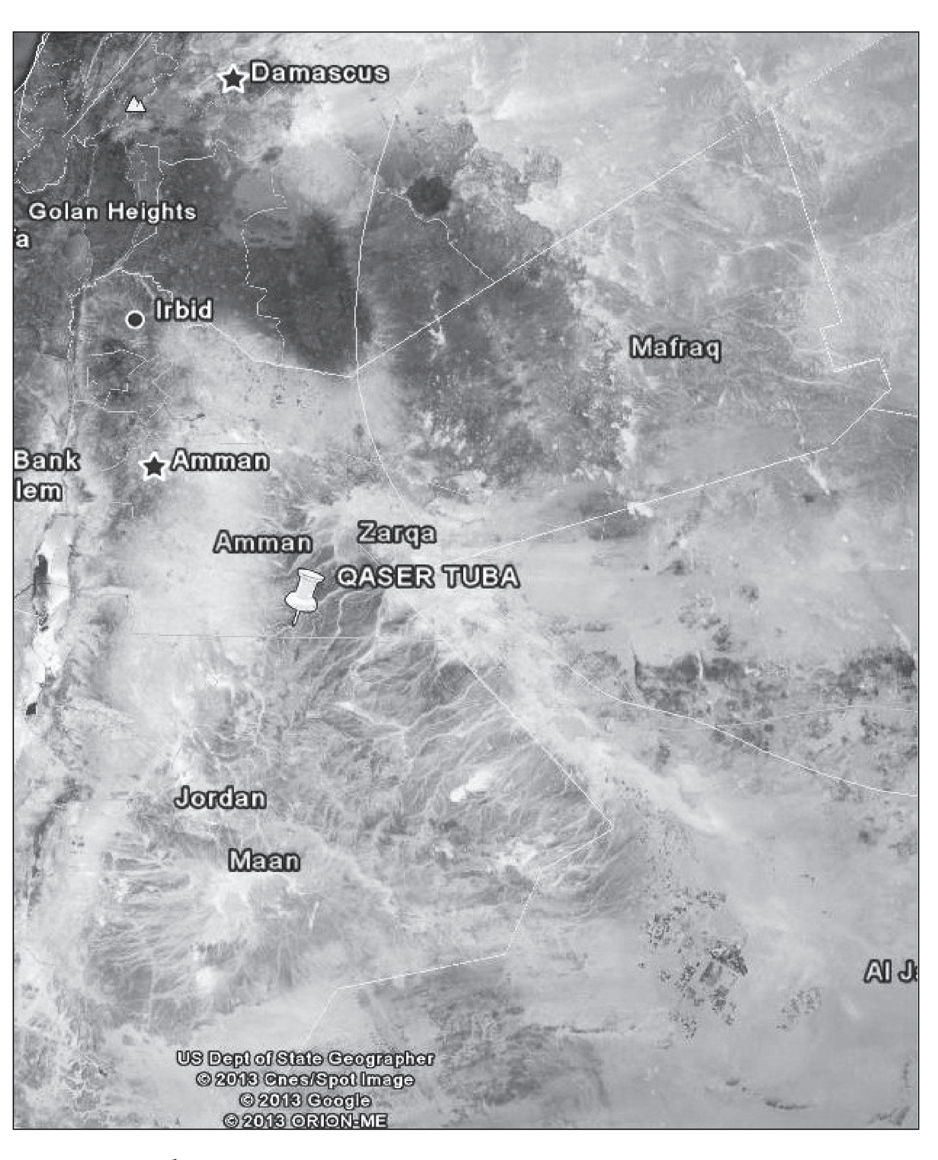
وتشمل منطقة القصر والتي تقع ضمن الإحداثيات التالية: ٢٦٨٨٦٩ شرقا و٣٤٦٨٢٦٩ شمالا. وترتفع عن مستوى سطح البحر ٧٤٣م (**الشكلين ١ و٢**).

حيث يعتبر قصر طوبة من القصور الصحراوية الأموية غير مكتملة البناء، والذي بني على سيل وادي الغدف، ويبعد عن عمان ١٢٠كم باتجاه الجنوب الشرقي، وعن الشارع الرئيسي المؤدي إلى العقبة من منطقة سواقة الغربية ٥٠كم، ويبعد ٩٦كم إلى الجنوب من منطقة الأزرق وحوالي ٤كم عن قصر الخرّانه، و٥٢كم عن قصير عمرة و٧٠كم عن قصر المشتى، وأول من أعاد اكتشافه عالم الآثار التشيكي موزيل Alois Musil سنة ١٨٩٨.

ومن بقايا الأساسات يتضح أن هذا القصر كان معد ليبنى بشكل مستطيل بطول ١٤٠م عرض ٧٢م. وقد قامت دائرة الآثار العامة بعدد من المشاريع لحماية هذا الموقع وترميمه كان آخرها ما قام به مكتب آثار القصور الصحراوية عام ٢٠٠٧، حيث تم خلال هذا المشروع عملية تنظيف للموقع، وحماية الموقع من خلال جمع كسر الطوب المنتشره وتغطية الأساسات المكشوفة بالتراب، وعمل ساتر ترابي على حافة الوادي الذي يمر من جنوب القصر، وذلك لإيقاف تدفق مياه الوادي إلى القصر، بالإضافة إلى أعمال التوثيق لبعض المظاهر المعمارية التي ما زالت قائمة فيه.

ويبدوأن القصر كان مصمم ليتكون من قسمين متناظرين، متشابهين في التقسيم، يربطهما ممر، بالإضافة إلى بوابتين في الجهة الشمالية.

ومن خلال المظاهر المعمارية المتبقية، يتضح لنا أن القصر كان معد ليبنى من الطوب المشوي، وأساسات من الحجر الجيري، والأسقف عبارة عن عقود نصف برميلية. يختلف عدد مداميك أساسات البناء من الحجارة الجيرية من جدار إلى آخر، ففي الجدران الخارجية في الواجهة الشمالية يصل عدد المداميك الحجرية من الخارج إلى ١١ مدماك، وفي الداخل ٧ مداميك كما في الجدار رقم (١) في (**الشكل ٣**)، حيث يصل سمك الجدران في القصر إلى ١٤٠سم الذي بني من مداميك حجرية عددها من الخارج أكثر من الداخل، ثم استكمل البناء بالطوب المشوي، أما جدران الغرف الداخلية فقد بنيت فوق ٤ مداميك من الحجر الجيري، واستخدام الحجر الجيري في المداميك السفلية، لقدرة هذا الحجر على تحمل العوامل الطبيعية، كالأمطار والسيول أكثر من الطوب، وخاصة في الجدران الخارجية حيث عدد المداميك الحجرية أكثر منها في الداخل، ومع هذا يلاحظ أن نوعية الحجر المستخدم ليست ذات كفاءة عالية على تحمل العوامل الطبيعية، حيث تعرضت للتآكل بشكل ملحوظ، ويبدوأن هذه هي طبيعة الحجارة المتوفرة في هذه المنطقة. أما الطوب المستخدم فمعدل حجم الواحدة ٢٥×٢٥سم وسمكها من ٦-٨سم، ولكن نظرا لتقنيات صناعة الطوب في تلك الفترة، فإن قياساته كانت مختلفة ما بين ٢٤×٢٥سم أو٢٥×٢٦ سم أو٢٥،٥×٢٦سم، كما توجد آثار بقايا قصارة تغطي الطوب، وخاصة فوق السقف البرميلي الذي



١. خارطة الأردن موضح عليها موقع قصر طوبة .

يغطـي الغرفة رقـم ١ و٢، أما المونة المسـتخدمة في البنـاء فهي من نفس العناصـر الطبيعيـة الموجودة فـي الموقع وتركيبتها تختلـف من جزء إلى آخـر، فالمونة في الأساسـات معظمها من رمل السـيل المخلوط بالحصى الصغيرة والرماد والجير، وقد اسـتخدمت هذه المونة كصبة نظافة أيضا تحت الأساسات في المداميك السفلية، وفي المداميك العليا استخدم الطين المخلوط مع الجير.

وبنـاءً علـى المخطـط المرسـوم للقصـر والأجـزاء المتبقية منـه والتي أعدّها كريزويل (**الشـكل ٣**)، فقد تم تقسـيم القصر إلى قسـمين: شـرقي وغربي ويبدوأن ما تم بناؤه من القصر هو أجزاء من الجزء الغربي فقط، مثـل الغرف من ١ إلـى ٦ والغرفتان المحيطتان بالبوابـة، وبعض الأجزاء الغربيـة بالإضافة إلـى الجدار الشـمالي، أما الجزء الشـرقي فلا يبدوأن البنـاء به قـد اكتمل إنمـا اقتصر على بناء الأساسـات فقط ولـوأن أعمال البنـاء قد اكتملت لعثرنـا على بقاياها أوبقايا انهيارهـا، كما هو الحال في الجزء الغربي (**الشكل ٤**). ويبدو من المخطط أن الجزء الغربي كان مكون مـن أربـع أجنحة وسـاحة فضائية رئيسـية، والجـزء الشـرقي كان معد ليتكون من ثلاث أجنحة وسـاحة فضائية رئيسـية، أما من المخطط الذي وضعـه Musil فيظهر أن القصر معد من ثلاث أقسـام وثلاث سـاحات رئيسـية (**الشكل ٥**). والسـور المحيط بالقصر كان معد ليتخلله ١٤ برج نصف دائري لتكون دعامات لهذا الجدار.

ويتكـون الجـزء الغربي مـن القصر مـن ٢٨ غرفة وسـاحة فضائية رئيسـية في وسطه و٤ ساحات فضائية أصغر حجماً في كل جناح، وقد رمز لكل مظهر معماري في الجزء الغربي بحرفL، ولكل مظهر معماري في الجزء الشرقي بحرفR (**الشكل ٣**). وفي الجزء الغربي يبدوأن ما تم انجازه من البناء هوالجناح الأول، وقد كان مكون من سبع غرف وساحة وسـطية، أربع من هذه الغرف متناظرة في الشـكل والمساحة وتفصلهما السـاحة الوسـطية، ومن الغرفة رقم ٣ يوجد مدخل يؤدي إلى الغرف ٥ و٦ في الزاوية الشـمالية، ومنها ومن الساحة الوسطية يوجد ممر يؤدي إلى الغرفة رقم ٧ وهي الغرفة الرئيسية في هذا الجناح.

أمـا الغـرف ١ و٢ و٣ و ٤ مـا زالـت قائمة فـي هذا الجنـاح، ويبدوأن مـا تم انجـازه من هذه الغرف همـا الغرفتين ١و٢ واللتان تم عمل سـقف لهما، حيث يبدو أن العمل قد توقف في هذا البناء قبل أن يتم عمل سـقف للغـرف ٣ و٤، فلا توجـد بقايا انهيار الطوب داخل الغرف ليسـتدل منها



٢. صورة جوية لقصر طوبة، التقطت من قبل David Kennedy.

علـى أن هـذه الغـرف كانت مسـقوفة (علماً أن السـقف فـي الغرف ١و٢ مـا زال قائمـاً) وكذلـك عنـد بناء السـقف يتم رفـع الجدار الوسـطي بين الغرفتين بالإضافة إلى الجدار الشـمالي ليرتكز عليهما السـقف في حال بنائه وكذلك ليشكل الجدار الوسطي عنصر ربط بين الغرفتين، فلو كانت الغرفتين ٣و٤ قد تم عمل سـقف لهما لكان الجداران الوسطي والشمالي قد تم رفعهما لمسـتوى السـقف أو لكان ارتفاعهما أعلى مما هوعليه الآن، فليس من السـهولة أن يسقط الطوب من هذه الجدران التي ما زالت قائمة وارتفاعهما على نفس ارتفاع بقيّة الجدران في الغرف ٣ و٤.

أمـا بالنسـبة للغرف ١ و٢ فإن مسـاحتهما شـبه متسـاوية فالطول ٨،٢٠م والعـرض ٤،٠٦م، أمـا الإرتفـاع مـن أعلـى نقطـة في السـقف إلى الأرضيـة فهـو٩،١٠م وارتفـاع الجـدران حتى بدايـة السـقف البرميلي ٦،٠٦م.

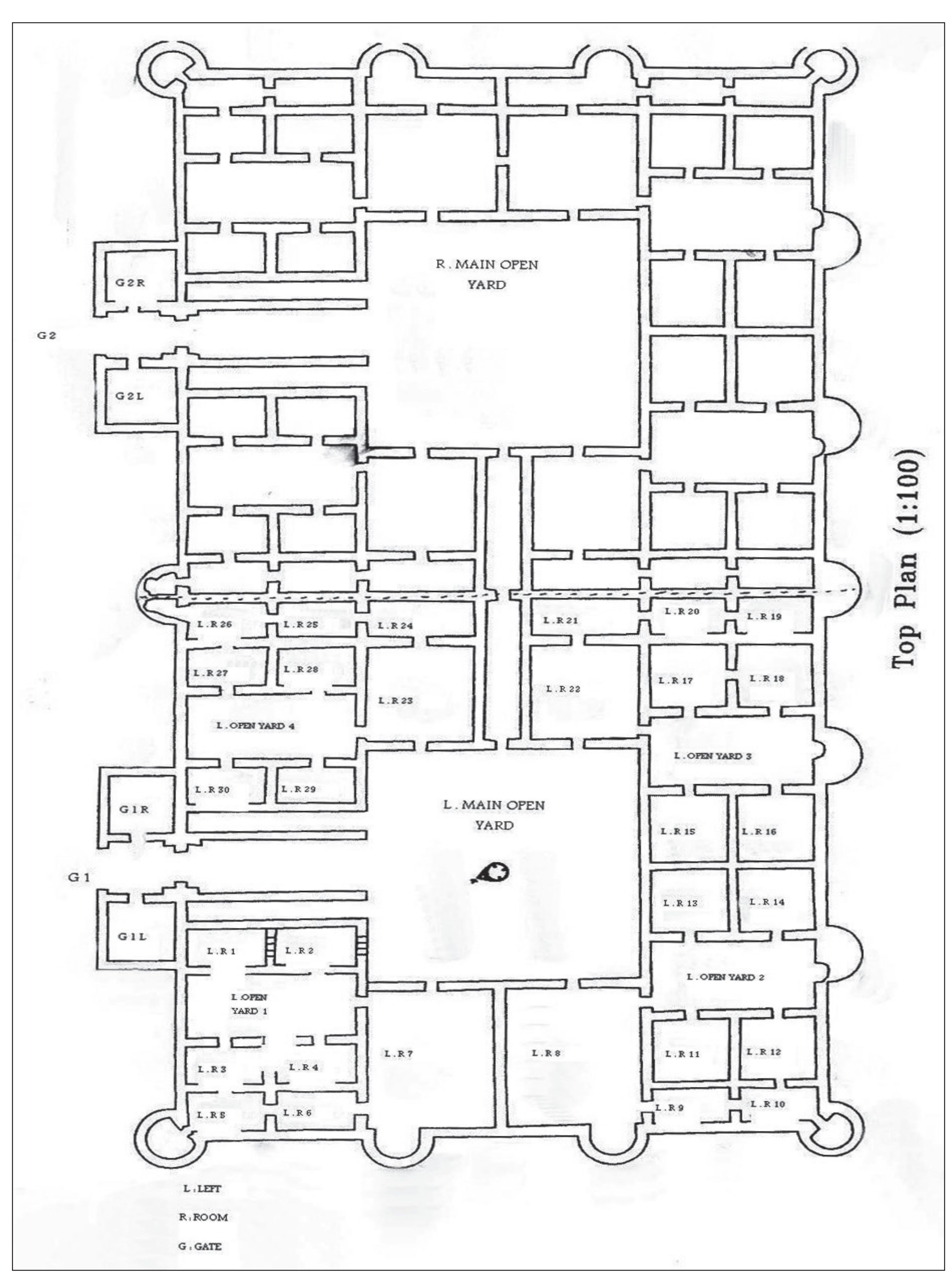
أما السـاحة الفضائية الفاصلة بين الغرف فطولها ١٧،٨م وعرضهـا ٧،٩٥م أمـا ارتفـاع جدرانهـا المتبقيـة فهـي ٣–٤م، فـي حـين أن ارتفاع جدارها الشمالي من ٢،٧٠م إلى ٢،٧٥م.

وبالنسبة للغرف ٤ و٥ فهما بنفس مساحة الغرف ١ و٢ إلا أن معدل ارتفاع جدرانها هو٤م.

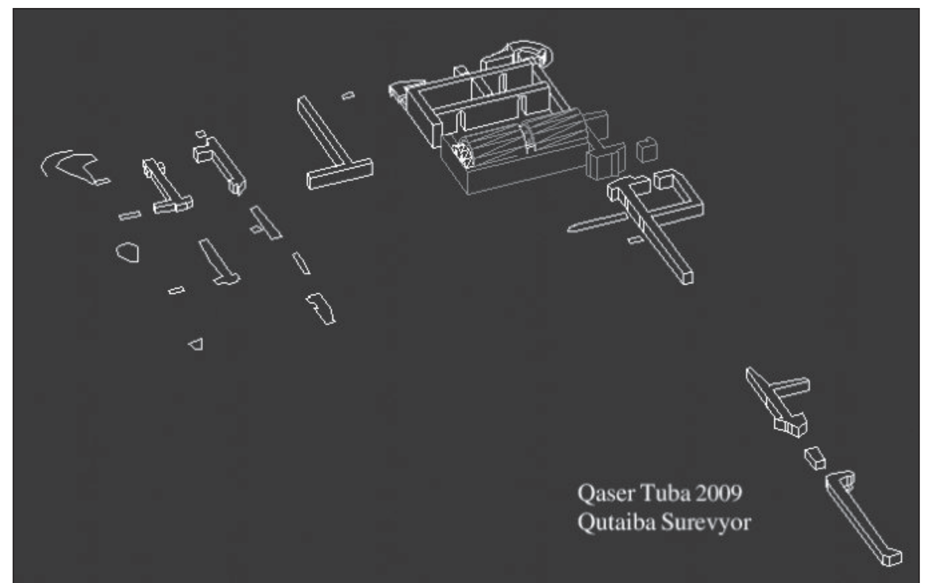
أمـا المداخـل المؤديـة للغـرف ١ و٢ و٣ و٤ فتظهـر بها حنيـات في أعلاها يبدو أنه كان يفصلها عن الجزء السـفلي مـن الباب حجر عرضـي، ويبدو أن جميع هذه الحجارة قد تم أخذها من الموقع في فترات سـابقة، فعندما زار Musil الموقع سـنة ١٨٩٨ لم تكن هذه الحجارة موجودة باسـتثناء حجـري غرفتـي البوابة الشـمالية (**الشـكل ٦**). أما الإرتفـاع الكلي لهذه المداخـل حتـى نهايـة الحنية العلويـة من الداخـل فهو٣٥٠سـم، في حين أن الارتفـاع لغايـة ما يعتقـد أنه كان يوجد حجر عرضـي فهومن ٢٢٠–٢٣٧سـم (وذلـك لعـدم وجود أرضيـات على مسـتوى واحد مـن الطمم وكذلـك نسـبة التدمير عند إزالـة الحجر العرضي كبيـرة، أما عرض هذه الأبواب فهو١٢٠سـم وسمكها من١٣٠–١٣٥سـم، أما البوابة الرئيسية المؤديـة إلـى السـاحة الفضائيـة فيبدوأنـه قد تم عليهـا عمليـة ترميم في سـبعينيات القرن الماضي، ويبلغ عرضهـا ٢١٨سـم وسـمكها ١٤٠سـم وارتفاع الحجر الذي تم ترميمه ٢٣٠سم.

كما يوجد بقايا فتحة دائرية في أعلى الجدار الوسـطي بين الغرفتين ١ و٢ ويبدوأن قطرها كان يبلغ ٤٠سم تقريباً.

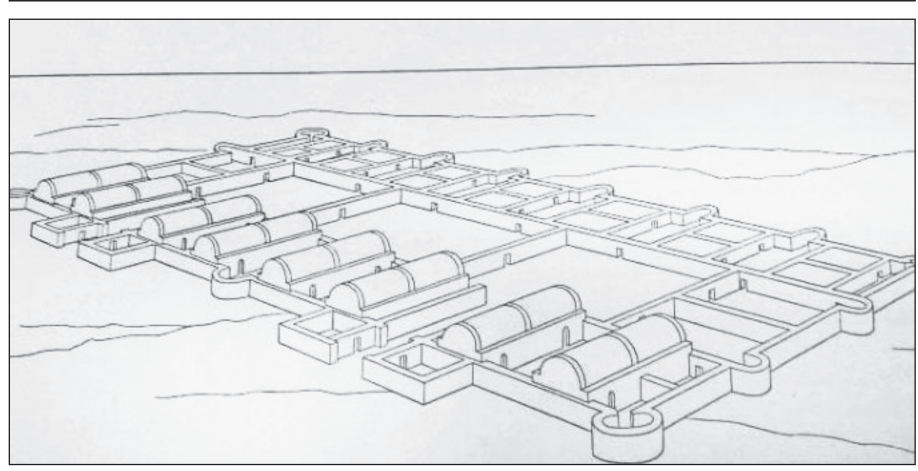
بالنسـبة للبوابة المؤدية إلى القسـم الغربي من القصر فيبدو أنه كان يحيط بها غرفتين، شمالية أخذت الرقم G1L وجنوبية أخذت الرقم G1R (**الشـكل ٣**)، أمـا الغرفة الشـمالية فلم يتبقى منها سـوى كتلـة معمارية منزوعـة الحجـارة في الجزء الشـرقي من المدخـل وبقايا الجـزء الغربي مـن المدخـل، في حين أن الغرفـة الجنوبية G1R مازالـت جدرانها قائمة، إلا أن مدخلهـا منزوع الحجارة، وكذلك المداميك الحجرية في أساسـاتها متآكلة على ارتفاع مدماكين حوالي ٧٠سـم، وعند زيارة Musil للموقع سنة ١٨٩٨ كان يغطي ظهر المدخلين حجر عرضـي، تظهر عليه الزخارف الإسـلامية، وهوموجـود الآن في متحف الأردن، وإلـى الجنوب من هذه الغرفة تمتد بقايا الجدار رقم ٥ بطول ٢٣،٥م، أساسـاته السـفلية متآكلة أيضـاً. يبلغ طـول هذه الغرفة ٧م وعرضهـا ٦،٩٠م وارتفاع جدرانها ما بين ٢،٨٥م–٢،٦٠م.



٣. مخطط لقصر طوبه كما وضعه كريزويل (اضيفت ارقام الغرف من قبل المؤلف).



٤. مخطط ثلاثي الأبعاد للأجزاء المتبقية من القصر.



٥. مخطط لقصر طوبه كما تصوره Musil.

هذه هي الأجزاء الرئيسية المتبقية من القصر، أما باقي أجزاء القصر فلم يتم بناؤها أصلاً، كما في معظم الجزء الشرقي، إنما تم الإكتفاء بعمل الأساسات لها، أوأجزاء تم بناء جزء منها في الجزء الغربي من الموقع وتعرضت للإنهيار بسبب العوامل الطبيعية مثل الجدران ٢٠ و٢١ و٢٢، والجدار الوسطي بين الغرفتين ٧ و٨ والجدار الغربي للساحة الفضائية الرئيسية في الجزء الشمالي، وجدران الغرف ١١ و١٢ و١٣ و١٤.

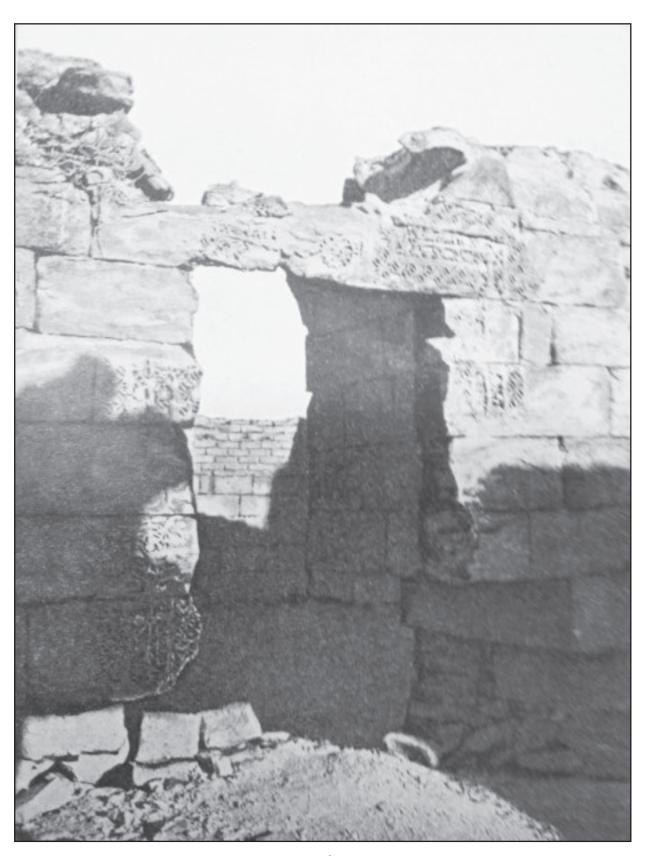
أما بالنسبة للعناصر المعمارية القريبة من القصر، يوجد بقايا سدّان مائيّان لحجز الماء قرب القصر على طرف سيل وادي الغدف.

السد الأول: يبعد ١٠٠م تقريباً عن الزاوية الجنوبية الغربية للقصر، ويمتد باتجاه شمال جنوب بطول ٦٣م ومعدل عرضه من ٢،٨٠–٣م ويصل أقصى ارتفاع له ١م، يتكون من مدماك إلى ثلاث مداميك، وهومبني من حجارة السيل الضخمة، شبه الدائرية يصل قطر بعضها إلى اكثر من ١٢٠سم (**الشكل ٧ أ**).

السد الثاني: يبعد ٢٥٠م تقريباً عن الزاوية الشمالية الغربية للقصر (**الشكل ٧ب**)، ويمتد باتجاه شرق غرب، بطول ٣٦،٥م ومعدل عرضه ١،٨٠م، يتكون من مدماك إلى ثلاث مداميك ليصل ارتفاعه من ٤٠–١١٠سم، وهوكما في السد الأول مبني من حجارة السيل الضخمة. إن بناء السدين على مقربة من بعضهما وعلى هذا الشكل يوحي وكأنهما بنيا لحجز الماء فيما بينهما لاستخدامها في عملية البناء (كما يعتقد السيد أديب أبوشميس).

من أهم الملاحظات المعمارية التي تم ملاحظتها في هذا القصر من خلال المخططات المرسومة للأساسات والأجزاء المتبقية منه هي:

– لم يعثر على أساسات مسجد داخل حرم القصر كما في كثير من القصور الإسلامية.
– ا يوجد آثار لبئر ماء داخل الموقع لاستخدامات الشرب، فليس من السهولة جلب مياه الشرب من الآبار في الجهة الشمالية والتي تبعد من ٢،٥–٣كم عن القصر، أواستخدام مياه السيل، ولكن قد يكون عمل البئر داخل الموقع قد تأخر لحين الإنتهاء من بناء القصر الذي لم يتم أصلاً.
– لا يبدو مما هو متبقي من أساسات القصر وجود آثار حمّام سواء لقضاء الحاجة أوللاستحمام، وللتأكد من هذا فإن الموقع بحاجة إلى دراسة معمارية عميقة، وهذه الخدمات بالعادة تكون بحاجة إلى تمديد القنوات المائية التي تكون بالعادة قبل الإنتهاء من عمل الأرضيات، وبما أن العمل بالبناء قد توقف قبل الإنتهاء من البناء فقد يكون هذا سبب عدم البدء ببناء الحمامات.
– قد تكون الغاية من بناء القصر هو مشتى، حيث أن القصر مبني من



٦. العتبة العلوية لمدخل الغرف كما صورها Musil.

الطوب المشـوي ويمتد باتجاه شـمال غربي إلى جنوب شرقي، بعكس اتجـاه الريـاح السـائدة في المنطقة التـي في العادة تكـون غربية، وفي الأجزاء المبنية مثل الغرف ١ و٢ لا يوجد نوافذ سوى نافذتين طوليتين صغيرتـين فـي أعلى السـقف في الجهـة الجنوبيـة من الغرفـة رقم ١ ونافذتين مقابلتين لها من نفس الجهة في الغرفة رقم ٢، بعكس ما نراه فـي قصر المشـتى من وجود فتحـات التهوية الدائرية أسـفل الجدران لجلـب الهـواء البـارد، كما يشـكل الجبل الواقـع إلى الشـرق الذي بني القصر على سفحه ساتراً للموقع من الرياح الشرقية الباردة في فصل الشتاء (أنظر **الشكل ٢٤**).

– الموقع مشـابه لحد كبير لقصر المشـتى من حيث طراز ومواد البناء إلا أن قصر المشتى قد يكون معد ليستخدم كمصيف.
– يبدومـن مخطـط القصر أيضـا أنه قد بني مـن جزئـين متناظرين، في الجزء الغربي ٤ أجنحة منفصلة شـبه متسـاوية، وفي الجزء الشرقي ثلاث أجنحة، اثنان شـبه متساويان في المسـاحة وواحد رئيسـي أكبر حجمـاً، فقـد يكـون أحـد الجزئين لاسـتقبال الـزوار والوفـود والآخر للاستخدامات الخاصة.
– الغـرف الطولية ذوات الأسـقف نصـف برميلية كما فـي الغرف ١ و٢ تتـوزع فـي الجهـة الشـمالية بشـكل متناظر شـبه متكرر علـى أربعة أجنحة.
– أما السـبب وراء اختيـار منطقة وادي الغدف لبنـاء القصر فيها فتعود إلـى أن هذه المنطقة بعيدة نوعاً ما عن التجمعات السـكانية، وعن طرق المواصـلات التـي كانت تمـر مـن وادي السـرحان إلـى الأزرق إلى أم القطـين وبصـرى ثـم إلى دمشـق، أومـن الأزرق إلى عوينـد فالخرانة فالقسـطل فعمان فالبلقاء، أوعبر طريق الحج الشـامي. أما اختيار هذا الموقـع بالـذات يعـود أنه كمـا يبدوقد بني فوق منطقة شـبه مسـتوية، قريبـة مـن مصـدر مائـي، تتوفـر حولهـا الجبـال التـي تحتـوي على الحجـارة اللازمـة لعملية البناء، كذلـك التربة الصالحـة لعمل الطوب، والحجارة الطباشيرية اللازمة لعمل الجير.

أمـا عمليـة البناء بالطوب المشـوي فهي مـن الطرق غير الشـائعة في منطقـة شـرق الأردن، والـذي تتوفر فيهـا مصادر متنوعة مـن الحجارة المناسـبة للاستخدام في عملية البناء، مما يغني عن عملية تصنيع الطوب وشـويه والبنـاء به، وما قـد تتطلبه هذه العملية من جهـد مضاعف، بينما كانـت طريقة البناء بالطوب المشـوي منتشـرة في مناطق بـلاد الرافدين والجزيـرة الفراتيـة، حيث مصادر الحجارة أقل وفـرة منذ أقدم العصور وحتـى العصـر الحديث. والسـؤال هوكيف امتـد تأثير هـذه الطريقة في البناء لمناطق البادية الأردنية في نهاية الفترة الأموية، وقد يكون السـبب



٧أ. السد رقم ١.



٧ ب. السد الثاني.



٨. قصر الحير الشرقي في سوريا.

في ذلك هوعودة جزء من القبائل اليمانية التي كانت متمركزة في العراق منذ ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، والتي عاد جزء ليس قليل منها من العراق إلى سوريا والأردن، وخاصة إلى منطقة البلقاء، وذلك خلال فترة خلافة سليمان بن عبد الملك، حيث كان معظم سكان جنوب سوريا (منطقة سهل حوران والأردن) من القبائل اليمانية (بيشة ١٩٨٣: ٥-٧). وقد يكون هذا التأثير العمراني قد جاء مع تلك القبائل إلى سوريا والأردن في نهاية العصر الأموي، مع إضافة استخدام الحجارة الجيرية في المداميك السفلية من البناء كما في قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي في سوريا (**الشكل ٨**) والذي يعود لفترة خلافة هشام بن عبد الملك، و في مسجد جبل سايس الذي يعود للفترة (من ٧٠٠ إلى ٧٢٥م) (**الشكل ٩**) وكذلك في قصري المشتى والطوبة، ونلاحظ التشابه أيضاً في حجم الطوب المستخدم في قصر الطوبة مع حجم الطوب المستخدم بالعراق في نهاية الفترة الأموية وخلال الفترة العباسية، ففي منطقة الكرخ كانت أبعاد الطوب (الطابوق) ٢٧,١×٢٧,٢×٦,٣سم، أما في منطقة سامراء فكانت أبعاد الطوب ٢٥×٢٥×٧سم (رؤوف ١٩٩٨ :٣٠٢-٣٠٥) كما يبرز التأثير في الطراز المعماري لقصر طوبة بمواقع من العراق تعود إلى القرن السادس الميلادي كما في شكل المداخل في موقع تاج كسرى والذي شابه تماماً شكل المداخل في قصر طوبة (**الشكلين ١٠ و١١**).

ولمعرفة مناطق جلب المواد الأولية اللازمة لبناء القصر، قمنا بعمل مسح أثري حول منطقة القصر، بشكل مستطيل بطول ٧كم وعرض ٣كم أي بمساحة ٢١كم^{2} (**الشكل ١٢**). حيث تم تقسيم هذه المنطقة إلى خمسة مناطق رئيسية، كان موقع القصر المنطقة رقم (١). وكما أشرنا سابقاً فإن بناء مثل هذا القصر يتطلب توفر عناصر البناء الرئيسية وهي، الحجر الجيري والتراب الصالح لعمل الطوب والجير والماء. وجزء كبير من هذه المواد قد تم العثور عليها في منطقة المسح رقم (٢)، الواقعة حول منطقة الآبار الموجودة إلى الشمال من القصر على بعد ٢-٣كم.



٩. مسجد جبل سايس في سوريا.

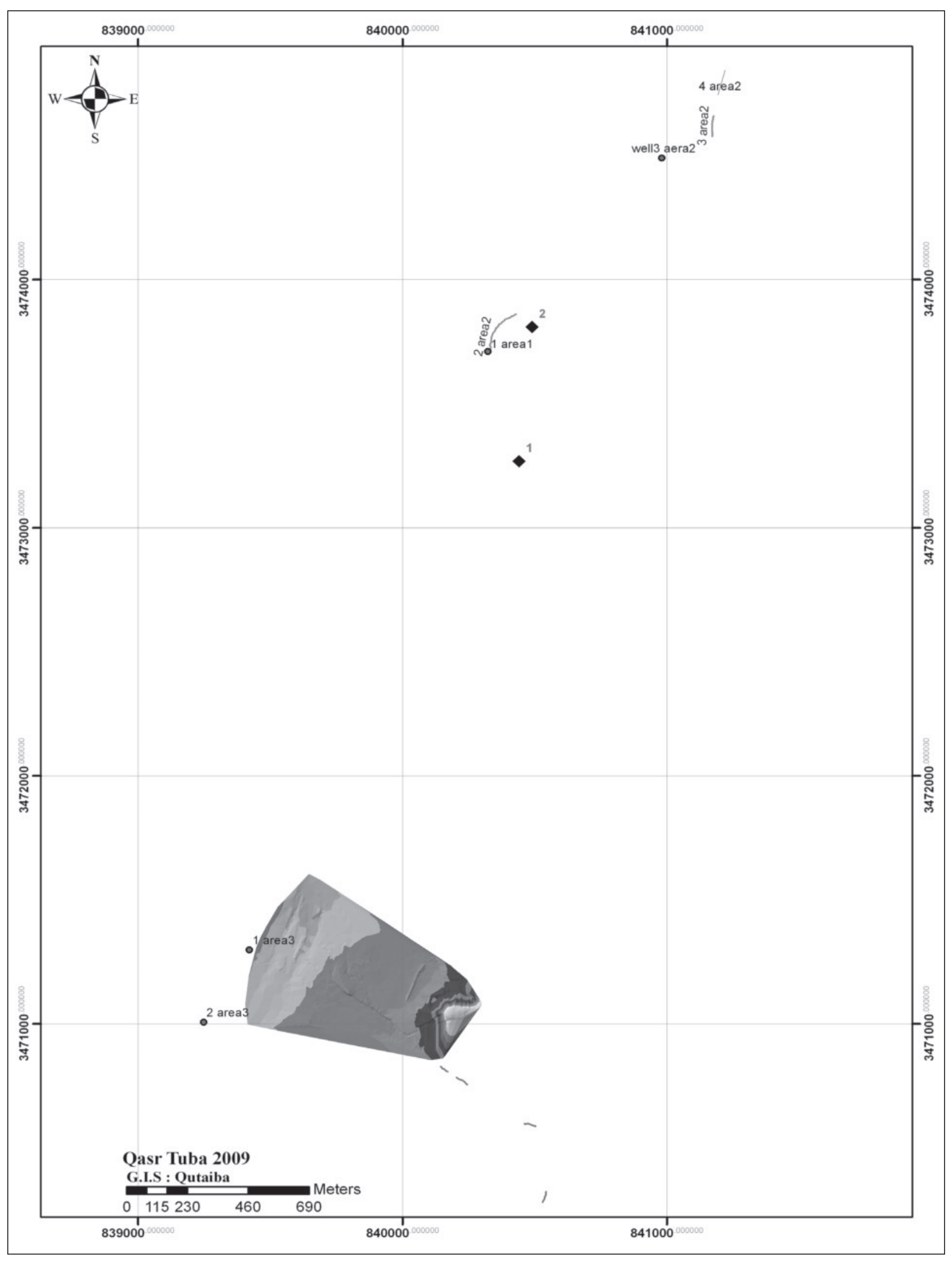


١٠. مدخل موقع تاج كسرى في العراق.



١١. مدخل من قصر طوبة.

ويبدو أن البنّاء الذي قام ببناء القصر قد ركز اهتمامه في بادئ الأمر على تحديد منطقة تواجد التراب الصالح لعمل الطوب بالدرجة الأولى ثم الحجارة الجيرية، والتي تتواجد بشكل جيد على حافة جرف الوادي الواقع إلى الغرب من البئر الأول والثاني، وجريان الماء في هذا الجرف قد كشف للبنّاء توفر مادة الحجر في هذا الجرف والتي تماثل نوعية الحجارة التي بنيت منها الأساسات الحجرية في القصر، وفوق طبقات الصخر في هذا الجرف تظهر كميات من التراب القليل الشوائب الذي



١٢. مخطط منطقة المسح الأثري.

يصلح لعمل الطوب (**الشكلين ١٣ و١٤**)

ومـن خلال أعمال المسـح لهـذا الجـرف (النقطة (٢) فـي المنطقة ٢) تبـين وجود آثـار تحجير فيه، وتم حفـر ثلاث آبار في هـذه المنطقة يصل عمقهـا إلـى أكثر مـن ٣٠م وذلك لتوفيـر كميات كافية من المـاء التي تلزم لعمـل عجينـة الطين، وهذا يدلنا على أن وادي الغدف لم يكن مسـتمراً في جريانـه طوال العام، وإلا لما كانت هناك حاجة لحفر هذه الآبار، أما القول بأن هذه الآبار لاستخدامات الشرب فهو تفسير غير عملي، وذلك لبعدها عن موقع القصر، كذلك يكفي حفر بئر واحد لتوفير مياه الشرب.

وعنـد عمـل الطوب يفضـل أن يتم عجن الطـوب قرب منطقـة تزويد الميـاه فـي منطقة شـبه مسـتوية، والتي يبـدوأن المنطقـة أمـام الآبار من الجهة الشـرقية تصلح لذلك، كما أن عملية شـوي هذا الطوب لا بد من أن تكـون في نفس المنطقة فليـس من المعقول نقل عجينة الطوب لشـويه في مكان آخر نظراً لثقل وزنه، فالأفضل أن يتم عمل أفران الشـوي في نفس المنطقـة، والتي يبدوأن آثار هذه الأفران قد اندثر بفعل عوامل الزمن، وما تتعرض إليه المنطقة من تدفق مفاجيء للمياه في فصل الشـتاء مما يؤدي إلـى خـروج الميـاه عن مجر السـيل، ومع ذلـك فقد تم العثور على كسـرة صغيرة من جزء من فرن للشـوي في هذه المنطقة، والتي قد يكون هنالك الكثيـر منهـا إلا أنها طمـرت بفعل العوامـل الطبيعية وما يسـببه فيضان مجرى السيل من جلب للأتربة.

يبـدو أنـه كانت تتـم في هـذا الموقع عملية عجـن التراب بالمـاء وعمل قوالب الطوب ثم شويه ثم نقله إلى موقع البناء حيث تصبح أقل وزناً.

وإلى الشـرق مـن البئر الثالـث تم ملاحظة وجود عمليـة تحجير في



١٣. منطقة جلب حجارة البناء.



١٤. آثار عمليات التحجير عن قرب.

جبلين متجاورين يتشكلان من صخور طباشيرية تتخللهما طبقات من الصوان، وهذه الصخور الطباشيرية من المواد الجيدة لعمل الشيد الذي يستخدم في عمل مونة البناء والقصارة (وقد أخذت هذه المنطقة اسم النقطة (٣) في المنطقة (٢) (**الشكل ١٥**).

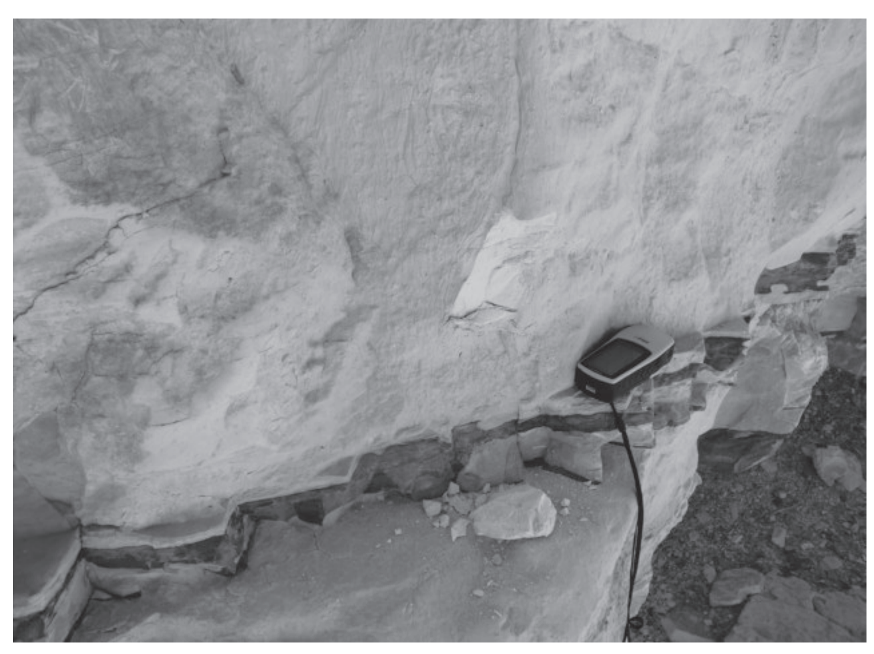
وقد لوحظ خلال عملية المسح في هذه المنطقة وجود الكثير من آثار التخريب بحثاً عن الدفائن مما أدى إلى تدمير مظاهر معمارية يبدوأنها كانت موجودة مثل النقطة رقم (١) حيث يظهر استخدام الجرافات في عملية الحفر ويظهر آثار حجارة تستخدم في البناء مبعثرة عند أكوام التراب الذي تم تجريفه إلى الغرب من البئر رقم (١).

أما بالنسبة للآبار الثلاثة الموجودة في المنطقة رقم (٢) فهي محفورة بالصخر الطبيعي وقد بني لها خرزات لترتفع فوقهتا عن سطح الأرض، وهي مطوية من الداخل بالحجارة على أعماق مختلفة، ويلاصق كل بئر حوض لنشل الماء منه، وقد تكون استخدمت الحيوانات لرفع المياه من هذه الآبار نظراً لعمقها.

البئر الأول: وهوالأقرب إلى القصر ويقع ضمن الإحداثية ٢٦٩٥٨١ شرقاً و٣٤٧٠٢٧٣ شمالاً ويبلغ عمقه أكثر من ٣٠م منها ٤،٣٠م مبنية من الحجر والباقي محفور بالصخر، ويبلغ قطره ٢،٨٥م وعرض جداره ١،٢٥م وارتفاعه المتبقي عن سطح الأرض ٧٠سم، ويلاصقه من الجهة الغربية بقايا حوض ماء مربع الشكل مقصور من الداخل، مساحته ٤،٥م ×٥م وعمق أجزائه المتبقية ٧٥سم. وتظهر عليه آثار التخريب البشري.

أما **البئر الثاني**: والذي يقع شمال البئر الأول (وتجاوره أربع شجرات كبيرة الحجم) فيبلغ عمقه أكثر من ٣٠م أيضاً منها ٣،٦٠م مبنية من الحجر والباقي محفور بالصخر الطبيعي، ويبغ قطره ٢،٣٠م وعرض جداره من ١١٠سم إلى ١٢٠سم، ويلاصقه من الجهة الجنوبية بقايا





١٥. مناطق الصخر الطباشيري.

حـوض دائـري الشـكل قطـره ٦،١٧م، وهوكمـا البئـر الأول معـرض للتخريب البشـري، ويوجد له بقايا كتف سـاقية ترتفع ٩٦سم عن خرزة البئر بعرض ٣٦سـم، وترتفع خرزة البئر عن سـطح الارض من٨٢سـم إلى ١١٠سم والبئر كان مقصور من الخارج ويبدوأنه كان له غطاء حيث يظهر في أعلى الخرزة بقايا حفة عرضها ٦سم (**الشكل ١٦**).

أمـا **البئر رقم ٣**: يقع شـمال البئـر الثاني بحوالـي ٨٠٠م، وعمقه الكلي ٢٠،٧م، منهـا ٣،٧٥ مبنية من الحجارة والباقـي محفور بالصخر ويبلغ قطـره ٢،٣م وعـرض جـداره من ١٢٠-١٤٠سـم، ويلاصقـه من الجهة الغربية بقايا حوض ماء مربع الشـكل مقصور من الداخل أبعاده المتبقية ٤،٤٠م×٤،٤٥م، وهومعرض للتخريب البشـري كما في الآبار الأخرى، وترتفع خرزته عن سطح الأرض ٦٠سم.

كمـا تم رصـد مناطـق أخـرى قد تكـون اسـتخدمت لجلـب الحجارة والجيـر وهي قريبة من القصر ضمن المنطقة رقم (١) وهي النقاط ١ و٢ و2A في (**الشـكل ١٢**)، وكذلك مناطق تنتشـر فيها ما يشـبه الأحواض المبنيـة من الحجـر إلى الجنوب الغربـي من القصر قرب مجـرى الوادي، (النقـاط ٣ و٤) والتي قد تكون اسـتخدمت لعجن مـادة الجير بعد طحنه لاستخدامه في مونة البناء مع التراب والرماد في بعض الأحيان وخاصة تحـت الأساسـات الحجرية السـفلية، كمـا توجد بقايا أحـواض ملاصقة للقصـر في الزاويـة الجنوبية الغربيـة والتي يبدوأنها اسـتخدمت لنفس الغاية.

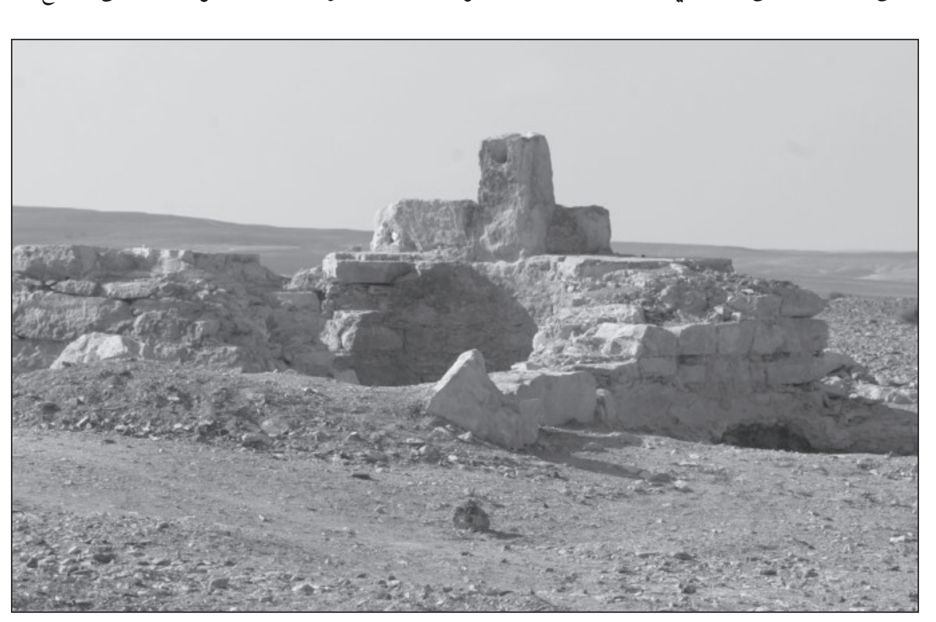
ومن خلال المسـح الأثـري للمنطقة (٣) والواقعة فـي الجهة الغربية لمجـرى السـيل إلى الجنـوب الغربي مـن القصر، لوحظ وجـود منطقتين تنتشـر بهمـا بقايا الطوب المشـوي، من نفس الطوب المسـتخدم في بناء القصـر، وقـد اعطيـت الأولى اسـم (النقطـة ١) وتقع ضمـن الاحداثيات ٣٤٦٨٣٥٨ شمالاً و٢٦٨٤٥٣ شرقاً والتي وجد فيها بقايا أساس جدار مبنـي من الطـوب، إلا أن المنطقة قـد تعرضت للتخريب مـن قبل الباحثين عـن الدفائن، وتبلغ مسـاحة هـذه النقطة ٦م×١٢،٥م، وعرض الأسـاس الظاهر ٤٦سـم. وإلى الجنوب من هذه النقطة تقع النقطة رقم (٢) ضمن نفس المنطقة، ضمن الاحداثيات ٣٤٦٨٠٧٧ شـمالاً و ٢٦٨٢٦٤ شـرقاً، وتنتشـر حولهـا بقايـا كسـر الطوب المشـوي كمـا فـي النقطة السـابقة، والتـي يظهر أنها كانت تحتـوي على مظهر معماري تعـرض للتدمير من قبـل الباحثين عـن الدفائن أيضـاً. وتبلغ مسـاحة هـذه النقطة ٧،٥م ×٨م وتنتشر حولها بعض كسر الفخار. كما تنتشر حولها بقايا قبور اسلامية تبـدو حديثة، قـد تعود للقبائل البدوية التي تتنقل فـي هذه المناطق،.أو قد تكـون مظاهر معمارية اسـتخدمت من قبل الأشـخاص اللذيـن عملوا في مشروع بناء القصر كالمهندسين والفنين.

أمـا المنطقـة رقـم (٤) والتـي شـملتها أعمـال المسـح فتقـع ضمـن الاحداثيـات ٢٦٨٨٠٨ شـمالاً و٣٤٦٧٠٣٨ شـرقاً. فقـد عثـر فيها على بقايـا مظهر معماري يثيـر الكثير من الاسـتفهامات، وهوعبارة عن بقايا تجويـف في الصخر قد تعـرض للتخريب من قبل الباحثـين عن الدفائن، يحتـوي علـى بقايا حنية محفورة في الصخر بشـكل شـبه مربـع، وآثار حنية أخرى بجانبها، وثلاث حنيات أخرى بجوارهم من الجهة الشـمالية قد دمرت بالكامل أيضاً، وعند مشـاهدة هـذا التجويف يبدو وكأنه مدفن بيزنطـي، وهـذه من الأمـور المثيرة للإسـتغراب، فمـن المعـروف أن بناء القصـر يعود إلـى الفترة الأمويـة، وذلك مـن المصـادر التاريخية وطراز البنـاء وبقايا بعض كسـر الفخار، فوجود مدفن بيزنطـي بقربه قد يكون دلالة على أن بعض العاملين في إنشاء هذا القصر كانوا من النصارى.

أمـا المنطقة رقـم (٥) فهي تبعد حوالي ٣كم إلـى الجنوب من القصر على الطرف الشـرقي من مجرى السـيل، وقد لوحظ بها وجود نقطتين تنتشر حولهمـا بقايا قليلة من الطوب المشـوي كالذي اسـتخدم في بناء القصر، والذي قد يكون تم جلبه من موقع القصر في فترات لاحقة لاسـتخدامات فردية.

كمـا لوحـظ من خلال أعمـال المسـح للمنطقة التي حـددت خلال هذا المشـروع، انتشـار لبقايا كسـر صوانية مشـغولة قـد تعود علـى فترات العصـور الحجريـة القديمـة، ولكنها ليسـت متركـزة في منطقـة معينة، والتي قد تعود إلى مواقع من العصور الحجرية القديمة قد تم نقلها بفعل مياه السيل.

وللتأكـد مـن نتائـج هـذه المسـوحات كان لا بـد مـن القيـام ببعـض



١٦. البئر رقم ٢.

التنقيبات في أجزاء محددة داخل الموقع وفي مناطق المسح خارج حدود الموقـع، ولذلـك قمنـا بعمل شـبكة مربعـات داخل حـرم الموقـع بمسـاحة ١٠×١٠م لكل مربع.

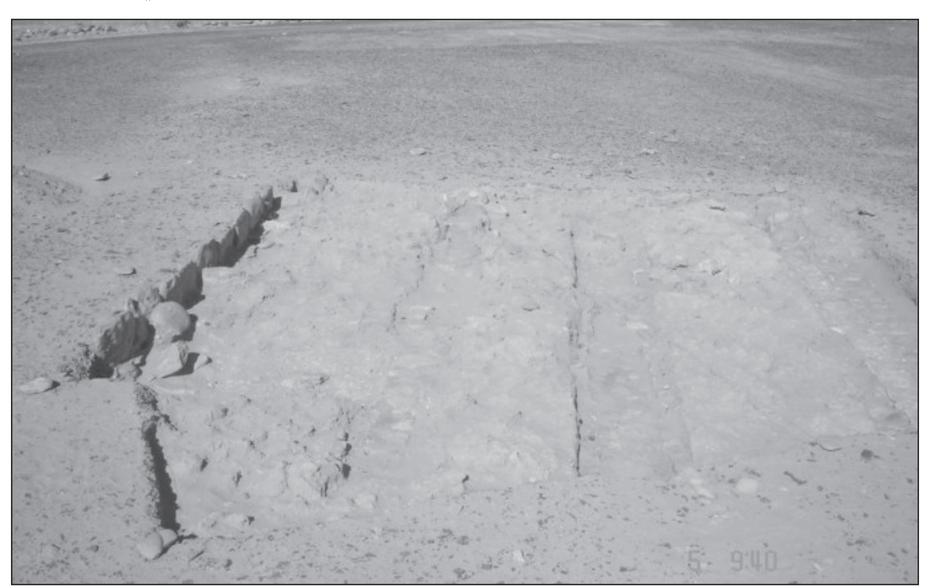
وقـد بدأنا العمـل في المربعـين F٦ وE٦ في الجـزء الجنوبي الغربي مـن الموقـع، حيث يبدو من خلال السـطح وجـود آثار تبـدو وكأنها بقايا أحواض.

ومن خلال أعمال التنقيب تم بالفعل الكشف عن بقايا أحواض عددها إثنان تمتد بشـكل طولي من الغرب إلى الشـرق (**الشـكل ١٧**)، وما زالت أساسـاتها واضحـة، وعلى ما يبـدو أنهما بنفس الحجم، ومـا زالت بقايا الطـين المتصلـب باقيـة فيهمـا، ويفصلهمـا عـن بعضهمـا ١٣٠سـم، وقد بنيـت هذه الأحواض من الحجـر الجيري من صف واحـد ومدماك واحد مـن الحجـارة، يتـراوح ارتفاعهـا من ٤٠–٤٥سـم، وجزء كبيـر من هذه الحجـارة لـم يعد موجـود في مكانـه، ولم يبقى سـوى الأساسـات التي عملت بشـكل صبّـة نظافة من الجيـر المخلوط بالرمـاد والحصى الكبيرة والمتوسـطة الحجم، ويصل عرض هذه الأساسـات إلى ٦٠سم، أما حجم الحـوض الأول الـذي يقع في الجهـة الجنوبية فيتراوح طـول المتبقي منه من ٦،٥٥–٧،٢٠م والحوض الثاني إلى الشـمال منـه فيتراوح طوله من ٦،٦٠م–٧،٥٠م، أمـا عـرض هـذه الأحـواض فهو متسـاوي بحيث يبلغ ٢،١٠م.

ويبدوأن هذه الأحواض قد تم اسـتعمالها لعملية تجهيز الطين اللازم للقصارة أو لعمل المونة المستخدمة بين الطوب في عملية بناء القصر.

كما تم اختيار موقع آخر للتنقيب، النقطة ١ في المنطقة رقم ٣، والذي يبعد حوالـي ٤٠٠م إلى الغرب من القصر، حيث لوحظ آثار بقايا طوب متناثر حولـه، ويظهر أن أجزاء من هذا الموقع قد تعرض للعبث من قبل الباحثين عن الدفائن (**الشكل ١٨**).

ومن خلال أعمال التنقيب به تم الكشف عن بقايا خمس طبقات أثرية كما ظهرت أساسـات مبنى يتكون من سبعة جدران، ومدخله من الزاوية الجنوبيـة الغربيـة، بحيث يظهر البناء بشـكل يشـبه حذوة الفـرس، يبلغ طولـه بالكامـل ٧،٦٠م وعرضـه ٥،٩٥م، أساسـاته مـن الحجر الجيري الهش ومبني فوقها الطوب المشوي، ويبدو أن البناء كان يتكون من جزأين



١٧. منطقة تحضير عجينة المونة.



١٨. منزل رقم ١ قبل التنقيب.

متداخلين الأول بشكل حرف L معكوسة طوله ٥،٩٥م وعرضه ٤،٤٠م، والجزء الثاني بشكل شبه مربع طوله ١،٩٠م وعرضه ١،٨٥م، ويبدوأن أرضية البناء بالكامل كانت مغطاة بطبقة من البلاستر تم رصفها فوق طبقة من الحصى الصغيرة، التي قد يكون تم جلبها من تربة السيل، أما طبقة البلاستر في الجزء الثاني من المبنى فيظهر عليها آثار حرق مما يدل على أن هذا الجزء من المبنى كان مخصصاً للأغراض المنزلية مثل الطبخ، وقد تم إزالة عدد كبير من قطع الطوب المشوي المنتشرة في الموقع، ومن أهم هذه القطع بقايا لبنة من الطوب عليها آثار صليب حفر بأصبع اليد قبل الشوي، ويبغ طول هذه الطوبة ٢٦سم وعرضها ٢١سم، أما طول الصليب فهو٢١سم وعرضه ١٨سم **(الشكل ١٩)**، وقد تكون الغاية من هذا المبنى هو استخدامه من قبل عمال البناء **(الشكل ٢٠)**، ويبدو من أجزاء الطوبة التي وجد عليها آثار صليب، أن العاملين في بناء القصر قد يكون بعضهم من النصارى، مع العلم بأن البناء يعود إلى الفترة الأموية ومن المعروف أن كثير من القبائل العربية كانت على الديانة النصرانية في تلك الفترة.

واستكمالاً لأعمال التنقيب فقد تم اختيار منطقة أخرى للتنقيب بها وهي النقطة ١ في المنطقة رقم ٤ والتي تبعد ١،٤٠٠كم إلى الجنوب من القصر، ومن النظرة الأولى يتضح بأن هذه المنطقة تشكل تجويف في الصخر الجيري، ويبدو أنها تعرضت للتخريب عن طريق الحفر بالجرافات، وتم ترك كميات هائلة من الطمم أمام هذا الموقع، الذي يشبه المدافن البيزنطية **(الشكل ٢١)**.

وللتأكد من ذلك بدأنا بإزالة الطمم من أمام وداخل هذا التجويف، ليتضح لنا أننا أمام تجويف يتكون من ثلاث حجرات في كل حجرة بقايا تجويفات **(الشكل ٢٢)**، ويبلغ طول هذه الحجرات مجتمعة ١٠،٣٠م، من المؤسف أن التخريب في هذا الموقع كبير جداً. وقد قمنا بتوثيق ما تبقى من هذا الموقع، فالحجرة الأولى يبلغ طول فتحتها ٣،٦٦م وارتفاعها من



١٩. الطوبة التي حفر عليها اشارة الصليب.



٢٠. المنزل رقم ١ بعد التنقيب.

١,١٠-١,٢٠م، أما طول الحجرة من الداخل فيبلغ ٣,٧٥م وعرضها ٢,٨٠م وارتفاعها ٢,٢٢م، وهي بيضاوية الشكل، وأرضيتها مغطاة بطبقة من البلاستر، وتحتوي على تجويفين الأول بحالة شبه سليمة، يبلغ عرضه ٨٠سم وارتفاعه ٥٨سم وعمقه ٦٠سم، أما التجويف الثاني فهو شبه مهدم، يبلغ عرضه ٨٠سم وارتفاعه ٦٠سم وعمقه ٥٠سم، ويبدوأن التخريب في هذه الحجرة لم يقتصر على الفترات الحديثة بل في فترات سابقة أيضاً، حيث عثر على بقايا طبقات من الحرق في الطبقات السفلى من الحجرة، والتي استخدمت من قبل البدوفي فترات سابقة، كما عثر على مخلفات أغنام في الطبقات العليا.

أما الحجرة الثانية، والواقعة في الوسط، فيبلغ طول فتحتها ٣,٠٥م وارتفاعها ١,٣٣م، أما طول الحجرة من الداخل فهو٣,٤٥م وعرضها ٢,٤٣م وارتفاعها ١,٣٠م، وتحتوي على ثلاث تجويفات متجاورة معظمها مهدم.

التجويف الأول يبلغ عرضه ٧٧سم وارتفاعه ٩٠سم وعمقه ٤٧سم

والتجويف الثاني يبلغ عرضه ٨٠سم وارتفاعه ٨٠سم وعمقه (من جهة واحدة) ٤٧سم، أما التجويف الثالث فيبلغ عرضه ٧٠سم، وارتفاعه وعمقه غير واضح بسبب التدمير.

أما الحجرة الثالثة (في الجهة الشمالية) فيبلغ طول فتحتها ٢,٨٢م وارتفاعها ٨٠سم

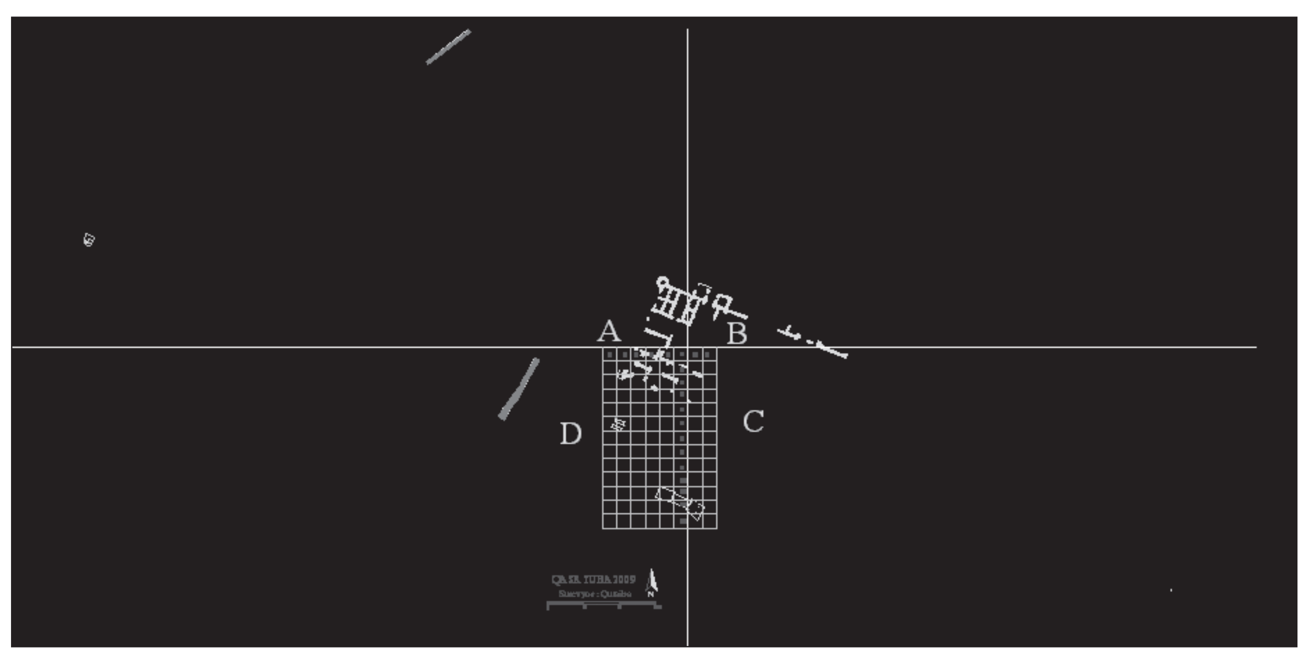
أما طولها من الداخل فيبلغ ٣,٥٠م ووعرضها ٢,٨٠م وارتفاعها ١,٠٧م، وتحتوي على بقايا تجويفين، الأول يبلغ عرضه ١,٣٣م وارتفاعه ٧٥سم وعمقه ٥٠سم.

أما الثاني فيبلغ عرضه ١,٣٥م وارتفاعه ٨٠سم وعمقه ٣٠سم

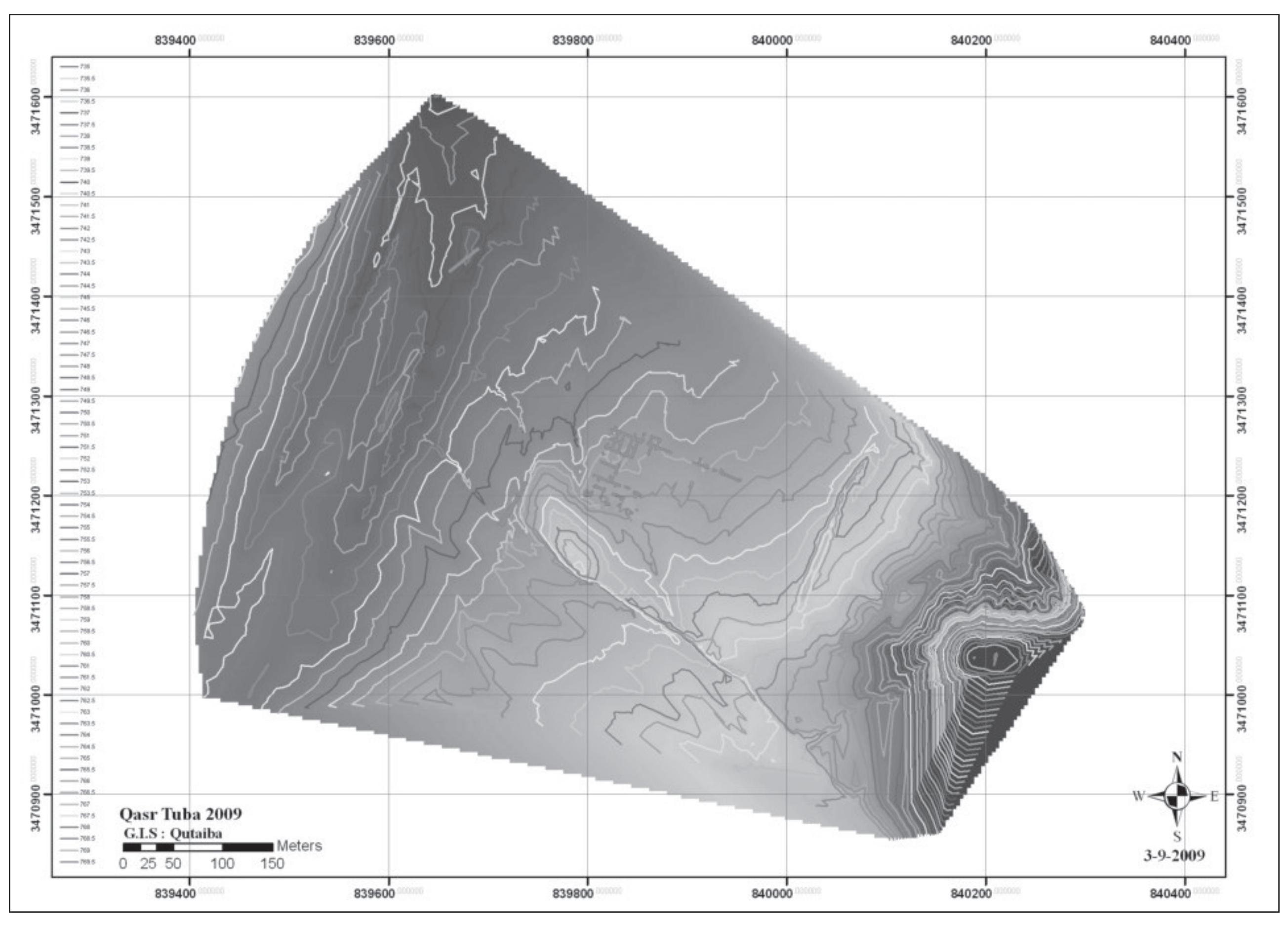
أما أرضيات الحجرات الثانية والثالثة فهي من نفس طبيعة الصخر التي نحتت به وهو الحثان الأبيض. وقد عثر أمام الحجرة الثالثة على حجر جيري أبيض مشذب، طوله ١,٠٤م وعرضه ٥٤سم وسمكه ١٥سم، قد يكون استخدم كحجر إغلاق.

إن عملية الكشف عن هذا الموقع تطرح الكثير من الإستفهامات، فهل كان استخدام هذا الموقع كمدفن؟ ولكن الحجرة الأولى لا تعطي انطباع بذلك، فارتفاعها يصل إلى ٢,٢٢م، وارتفاع التجويفين فيها عن سطح الأرضية يصل إلى اكثر من ١٢٠سم وعمقهما لا يتجاوز ٦٠ سم، كما وتوجد بقايا آثار حرق بسيطة فوق الأرضية، فهذه الحجرة بشكلها الحالي لا تعطي إنطباع بأنها حجرة دفن، أما بالنسبه للحجرتين ٢ و٣ فقد تكونان قد استخدمتا كمدفن وهي احتمالية واردة، ولكن هل كان العاملون في بناء القصر معظمهم من النصارى؟ وهل تتناسب عدد تجويفات الدفن (والبالغ عددها ٧) مع الفترة الزمنية التي استغرقها بناء هذا الجزء من القصر والتي تقدر بسنة ؟ أم هل كان هذا العدد من الموتى نتيجة وباء مثل الطاعون (والذي كان منتشراً في تلك الفترة)؟ إلا أنه من المعروف أن الوليد بن يزيد والذي ينسب إليه بناء القصر قد قتل قبل أن يصل وباء الطاعون إلى هذه البلاد!

بالنسبه لرأيي الشخصي (والذي قد يحتمل الخطأ) أن هذا الموقع قد استخدم كمدفن خلال الفترة البيزنطيةحيث تتوفر أدلة على استيطان بشري في منطقة الطوبه يعود إلى تلك الفترة، وذلك من خلال بعض كسر الفخار التي تعود إلى الفترة البيزنطية، والتي عثر عليها في محيط القصر، ولكن يبدوأن هذا المدفن كان قد تعرض للتدمير في فترة لاحقة، وقد يكون بعض العمال الّذين عملوا في بناء القصر قد وجدوا في استخدام إحدى هذه التجويفات كمأوى لهم من الظروف الجوية الباردة أمراً ممكناً، وخاصةَ أن التجويف الصخري موجود فما عليهم سوى توسعته وتعميقه قليلاً، وهذا ليس بالأمر الصعب نظراً لسهولة الحفر في مثل هذا النوع من الصخور، حيث يتضح وجود طريقتين من الحفر داخل هذه الحجرة، فطريقة الحفر على مستوى التجويفين الموجودين تختلف عن طريقة الحفر على المستوى السفلي من هذه التجويفات، ومن ثم قاموا بتغطية الأرضية بطبقة من البلاستر. وهذا مجرد رأي يحتمل الخطأ والصواب.



٢٣. شبكة المربعات



٢٤. مخطط كنتوري للموقع.

ومن أعمال التنقيب داخل الموقع الأثري قرب القصر، فقد تم التنقيب فـي المربع A١٣ فـي المنطقة C وفـي المربعـات A١٢ وB١١ من المنطقة D إلى الشرق من منطقة الأحواض (**الشـكل ٢٣**)، حيث تم الكشـف عن أساسـات لثلاثة مظاهر معمارية متجاورة بشـكل طولـي من الغرب إلى الشرق وكلها مربعة الشكل كما الغرف، والملاحظ أن معظم أساسات هذه الغرف مبنية من الحجر الجيري، ولا يوجد بقايا اسـتخدام طوب مشوي كمـا فـي باقي أجـزاء القصر، مما قد يشـير إلـى احتماليـة أن تكون هذه المظاهـر المعمارية غير مكتملـة البناء كما هو الحال في باقي أجزاء القصر (**الشكل ٢٥**)، ويبلغ طول هذه الغرف مجتمعة ٢٩،١٠م.

وقـد قمنـا بتوثيق هـذه الغرف وأخذ قياسـاتها، حيث بدأنـا بالغرفة الأولـى من الجهة الشـرقية، والواقعة ضمن المربـع A١٣ المنطقة C وقد بلـغ عرضـها ٦،٤٠م وطولها ٥،٥٠م وسـمك جدارها الشـرقي ٨٠سـم، وسـمك جدارها الجنوبي والغربي ٧٠سم، ومدخلها من الجهة الشمالية وأبعاده غير واضحـة حيث أن جدران هذه الغرفة باستثناء الجدار الغربي مبنيـة من الحجر الجيـري الهش، في حين أن جدران باقـي الغرف مبنية من الحجـر الجيري الصلب المتوسـط الحجم مثل الحجارة المنتشـرة في مجرى السيل.

أما الغرفة الثانية في الوسط والواقعة ضمن المربع A١٢ في المنطقة D فيبلـغ طولهـا ١٢،٧٠م وعرضهـا ٧م وسـمك جدرانهـا ٧٠سـم. في حـين أن الغرفة الثالثـة والواقعة في الجهة الغربية يبلـغ طولها ١٠،٩٠م وعرضـها ٩،٤٠م، ومعدل سـمك جدرانها الشـرقي والغربي من ٩٠سـم إلـى ١م، فـي حين أن سـمك جدرانها الشـمالي والجنوبي ٨٠سـم، ومن الملاحـظ أن جدارهـا الشـمالي أساسـاته منقطعـة، إمـا أنها غيـر مكتملة أوأنهـا مدمرة، على العكس من الجدار الجنوبي والذي أساسـاته متصلة ويتراوح ارتفاعه من ٢٠إلى ٦٠سم.

ولم يتم الكشـف عن بقايا أرضيات، ومـن المحتمل أنها غير موجودة أصـلاً، فمـن المرجح أن هذه الغرف لم يتم اسـتكمال بنائهـا، لعدم وجود ردم يدل على ذلك، ومعظم كسـر الفخار التي تم العثور عليها كانت حول أساسـات هـذه الغـرف من الخـارج، وقد قـام السـيد أديب أبو اشـميس بتأريخهـا إلى الفترة البيزنطية المتأخرة. في حين أن معظم كسـر الفخار التـي عثـر عليهـا فـي منطقـة القصـر تعـود إلـى الفتـرة الأمويـة المبكرة والمتأخـرة، أما كسـر الفخار التي عثر عليها فـي النقطة رقم ١ في المنطقة رقـم ٣، والتـي يعتقـد أنهـا ربما تكـون منزل لأحد المشـرفين علـى البناء فمعظمها تعود إلى الفترة الأموية المتأخرة.

وبعـد الإنتهاء من أعمال التنقيب قمنا بتغطية المناطق التي تم التنقيب فيها بطبقة من البلاسـتك ثم بطبقة من التـراب، وذلك لحمايتها من تأثير العوامل الطبيعية.

المراجع



٢٥. أساسات منازل في حرم القصر.

المصادر

محمد بن جرير الطبري

١٩٦١ **تاريخ الطبري** ج/٧ (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار المعارف. مصر.

الحموي، ياقوت

معجم البلدان

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب

١٨٦٠ **تاريخ اليعقوبي** ج/٢ . دار صادر . بيروت.

شمس الدين الذهبي

١٩٨٥ سير وأعلام النبلاء ج/٥.

ابن الأثير

١٩٧٨ **الكامل في التاريخ** ج/٤. دار الفكر.بيروت.

أبو الفرج الأصفهاني

١٩٧٠ **الأغاني**. دار الفكر للجميع وصلاح يوسف خليل. بيروت.

خليفة بن خياط

١٩٦٨ **تاريخ خليفة بن خياط**. وزارة الثقافة السورية . دمشق.

ابن كثير

١٩٩٣ **البداية والنهاية** دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي. بيروت /لبنان

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٩٦٥ **رسائل الجاحظ.** مكتبة الخانجي. مصر.

بيشه، غازي

١٩٨٣ نقش عربي من قصر المشتى وأهميته. **حولية دائرة الآثار العامة** ٢٧. مطبوعات دائرة الآثار العامة.

١٩٨٦ ملاحظات متفرقة حول اكتشافات أموية حديثة.**حولية دائرة الآثار العامة** ٣٠: ١٤-٧.

٢٠٠٩ ملاحظات حول مناظر الطرد والصيد في قصير عمره. **مجلة آثار**، العدد العاشر. مطبوعات دائرة الآثار العامة.

رؤوف،.زين العابدين

١٩٩٧-١٩٩٨ خواص الطابوق والجص المستخدم في العمارة العباسية ببغداد. **مجلة سومر** ٤٩: ٣٠٥-٣١٢.

عطوان، حسين

١٩٨١ **الوليد بن يزيد (عرض ونقد)**. دار الجليل. بيروت.

فيبرت جيج، كلود وبيشة، غازي

٢٠٠٧ **رسومات من قصير عمرة.** المعهد الفرنسي للشرق الأدنى ودائرة الآثار العامة.

Vibert-Guigue، Claud

2006 Découverte De Nouveaux Blocs De Baselte Sculptés À Ayn As-Sawda (Azraq al-Shishan، Jordanie) ADAJ 50: 325-349.

Musil، A.

1907 Kusejr Amra. WIEN.